

**بعض الشبهات المثارة حول الآيات التي ذُكر فيها
القتال في القرآن الكريم
(عرض ونقد)**

إعداد

د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين بطنطا

جامعة الأزهر

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بعض الشبهات المثارة حول الآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم، وهي شبهتا انتشار الإسلام بحد السيف، ودعوته للعنف والإرهاب، وقد قام الباحث أولاً بتعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح ثم تعريف القتال والفرق بينه وبين الجهاد، ثم قام في الفصل الأول بعرض الشبهتين وذكر بعض الأقوال التي ترمي الإسلام بهما، ثم قام بالرد عليها من عدة وجوه:

- ١ - الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.
 - ٢ - الرد على هذه الشبهات من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة.
 - ٣ - الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.
 - ٤ - الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.
- أما الفصل الثاني فقد تناول فيه تفسير الآيات التي ذُكر فيها القتال. وقد قسمها إلى:

- ١ - آيات قرآنية تقيد القتال بحال الدفاع ورد الاعتداء.
 - ٢ - آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.
 - ٣ - آيات نزلت في أناس مخصوصة.
 - ٤ - آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.
- ثم تناول بالحديث بعض الأحاديث النبوية التي ذُكر فيها القتال وأعقب ذلك ببعض الاستنتاج والاستنباط.
- وقد توصل الباحث إلى أن هاتين الشبهتين ما هما إلا محض ادعاء لا أساس له من الصحة عند النظر والتدقيق وهذا ما شهد به المنصفون من غير المسلمين.
- والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Research Summary

This research deals with some of the suspicions raised about the ayahs in which fighting is mentioned in the Holy Qur'an .They likened the spread of Islam to the sword, and its call for violence and terrorism.

The researcher first defined the suspicions in language and terminology. Then defined the fighting and the difference between it and jihad. Afterwards, he presented in the first chapter these two suspicions.

He mentioned some of the statements that accuse Islam of them, and he then responded to it in several ways:

- 1 - Responding to these suspicions through the Glorious Quran.
- 2 - Responding to these suspicions through the Sunnah and the Prophet's authentic biography.
- 3 - Responding to these suspicions by presenting some countries whose people entered Islam without fighting.
- 4 - Responding to these suspicions through some of the certificates of fair orientalist.

The second chapter deals with the interpretation of the ayahs in which fighting was mentioned. It has been divided into:

- 1 - Quranic ayahs restricting the fighting in the case of defense and response.
- 2 - Quranic ayahs to order fighting in the form of the general without restriction.
- 3 - Quranic ayahs were revealed in specific people.
- 4 - A special ayah to fight the aggressors of Muslims.

Then he addressed some of the hadiths of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in which he mentioned fighting.

This was followed by some conclusions and elaborations. The researcher found that these two suspicions are only a claim that has no basis in view and scrutiny.

This truth is what fair non-Muslims have witnessed.

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, peace and blessings be upon the master of the messengers, our master Muhammad, all his family and companions.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن هذا هو خامس بحث أشرف بتقديمه؛ ليُنشر في حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - جامعة الأزهر الشريف.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع؛ من جهة تعلقه بجانب مهم جداً، يتمثل في الدفاع عن القرآن الكريم، ضد شبهات أعداء الإسلام، سواء من غير المسلمين أو من بعض من ينتسبون لهذا الدين الحنيف، وهذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ حيث أثرت الشبهات حوله قديماً وحديثاً، وكلها نابعة من الحقد الدفين على هذا الدين الذي فتح الله - تعالى - به العقول والقلوب قبل أن يفتح به البلدان، وغرضها الرئيس بثُّ روح الكراهية في نفوس غير المسلمين وروح الخذلان في قلوب المسلمين؛ مما يؤدي إلى غايتهم العظمى، وهي صدُّ الناس عن الإسلام والقضاء عليه؛ ولذلك استخرت الله - عز وجل - ثم استعنت به - تعالى - وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي؛ حيث قمت بتتبع بعض الشبهات التي أُثرت حول الآيات التي ذكر فيها القتال في القرآن الكريم، ودرستها، وتحليلها، ثم نقدها نقداً موضوعياً وبيان زيفها وبطلانها، ببيان معارضتها للقرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين، ثم أتبع ذلك ببيان تفسير إجمالي لهذه الآيات.



هيكل البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة:
أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن: سبب اختيار البحث، ومنهجه، وهيكله.

وأما التمهيد فقد تناولت فيه:

أولاً: تعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح.

ثانياً: تعريف القتال والجهاد لغة واصطلاحاً وبيان الفرق بينهما.

وأما الفصل الأول فبعنوان: بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم (عرض ونقد).

ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: عرض بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الرد على هذه الشبهات من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة.

المبحث الرابع: الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.

المبحث الخامس: الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.

وأما الفصل الثاني فبعنوان: تفسير الآيات التي ذُكر فيها القتال. ويحتوي على ستة مباحث:

المبحث الأول: آيات قرآنية تقيد القتال بحال الدفاع ورد الاعتداء.

المبحث الثاني: آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

المبحث الثالث: آيات نزلت في أناس مخصوصة.

المبحث الرابع: آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.

المبحث الخامس: أحاديث ذُكر فيها القتال.

المبحث السادس: استنتاج واستنباط مما سبق.

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهم نتائج البحث، والاقتراحات.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، رتبته أبجدياً، ذاكراً اسم

الكتاب أولاً، ثم المؤلف، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة

وتاريخها.

ثم آخرًا فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يهديني لما

اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأن يجعله في

ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين،

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

أولاً: تعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح.

(١) تعريف الشبهات في اللغة: الشبهات جمع شبهة، وأصل مادتها (شبه)، يقول الإمام الجوهري: " [شبهه] شَبَّهُهُ وَشَبَّهَ لَعْنَانِ بِمَعْنَى. يقال: هذا شَبَّهُهُ، أي شَبَّيْهَهُ. وبينهما شَبَّهُهُ بِالتَّحْرِيكِ، والجمع مَشَابَهُهُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، كَمَا قَالُوا مَحَاسِنٌ وَمَذَاكِيرُ. وَالشُّبُهَةُ: الْإِلْتِبَاسُ. وَالْمُشْتَبِهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمَشْكَلَاتُ. وَالْمُتَشَابِهَاتُ: الْمُتَمَاتِلَاتُ. وَتَشَبَّهَ فُلَانٌ بِكَذَا. وَالتَّشْبِيهُ: التَّمثِيلُ. وَأَشْبَهْتُ فُلَانًا وَشَابَيْتُهُ. وَأَشْتَبَهَ عَلَيَّ الشَّيْءُ" (١).

ويقول الإمام ابن فارس: " (شبه) الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتساكله لوناً ووصفاً. يقال شبهه وشبهه وشبيبه. والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب. والمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلاً" (٢).

ويقول الإمام ابن منظور: " (شبه) الشبَّه والشَّبَّه والشَّبِيه المِثْلُ والجمع أَشْبَاهٌ وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ مَاثَلَهُ وَفِي الْمِثْلِ مَنْ أَشْبَهَهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ وَأَشْبَهَ الرَّجُلُ أُمَّهُ وَذَلِكَ إِذَا عَجَزَ وَضَعَفَ ... وَبَيْنَهُمَا شَبَّهُهُ بِالتَّحْرِيكِ وَالْجَمْعُ مَشَابَهُهُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ كَمَا قَالُوا مَحَاسِنٌ وَمَذَاكِيرُ وَأَشْبَهْتُ فُلَانًا وَشَابَيْتُهُ وَأَشْتَبَهَ عَلَيَّ وَتَشَابَهَ الشَّيْئَانِ وَأَشْتَبَهَا أَشْبَهُهُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ وَفِي التَّنْزِيلِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ وَشَبَّهَهُ إِيَّاهُ وَشَبَّهَهُ بِهِ مِثْلَهُ وَالْمُشْتَبِهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْكَلَاتُ وَالْمُتَشَابِهَاتُ الْمُتَمَاتِلَاتُ وَتَشَبَّهَ فُلَانٌ بِكَذَا وَالتَّشْبِيهُ التَّمثِيلُ وَفِي حَدِيثٍ حَذِيفَةٌ وَذَكَرَ فِتْنَةً فَقَالَ تَشَبَّهَ مُقْبِلَةً وَتُبِينُ مُدْبِرَةً قَالَ شَمْرٌ مَعْنَاهُ أَنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ عَلَى الْقَوْمِ وَأَرْثَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَدْخُلُوا فِيهَا وَيَرْكَبُوهَا مِنْهَا مَا لَا يَحِلُّ فَإِذَا أُدْبِرَتْ وَانْقَضَتْ بَانَ أَمْرُهَا فَعَلِمَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْخَطَا وَالشُّبُهَةُ الْإِلْتِبَاسُ وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - فصل الشين - مادة شبه - ج ٦ ص ٢٢٣٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة - مادة شبه - ج ٣ ص ٢٤٣.

وَمُشَبَّهَةٌ مُشْكَلَةٌ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا قَالَ وَاَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي زَمَانٍ مُشَبَّهَاتٍ هُنَّ هُنَّ وَبَيْنَهُمْ أَشْبَاهٌ أَيْ أَشْيَاءٌ يَتَشَابَهُونَ فِيهَا وَشَبَّ عَلَيْهِ خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ حَتَّى اشْتَبَهَ بغيره " (١).

ويقول الإمام الزبيدي: " (الشَّبهَةُ، بالكسرِ والتَّحريكِ وكأَميرٍ: المِثْلُ، ج أَشْبَاهٌ)، كَجَذَعٍ وَأَجْذَاعٍ وَسَبَبٍ وَأَسْبَابٍ وَشَهِيدٍ وَأَشْهَادٍ ... (وَشَابَهُهُ وَأَشْبَهُهُ: مَائِلَةٌ)، (وَأَمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ وَمُشَبَّهَةٌ، كَمُعْظَمَةٍ): أَيْ (مُشْكَلَةٌ) مُلْتَبَسَةٌ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ ... (وَالشُّبُهَةُ، بِالضَّمِّ: الِاتِّبَاسُ؛ وَأَيْضًا: (المِثْلُ). تقول: إِنِّي لَفِي شُبُهَةٍ مِنْهُ. (وَشَبَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ تَشْبِيهًا: لُبَسَ عَلَيْهِ) وَخَلَطَ " (٢).

يتضح مما سبق أن مادة الكلمة تدور حول معنيين:

الأول: المماثلة والتشابه بين أمرين أو أكثر سواء في الشكل أو الصفات.

الثاني: الالتباس والاختلاط في أمر ما أو بين شيئين أو أكثر. ولا شك أن الأقرب إلى تعريف الشبهات في الاصطلاح هو المعنى الثاني.

ولعل الجامع بين كلا المعنيين أن أولهما يؤدي إلى الثاني، وأن من يريد أن يلبس على أحد شيئاً يجعله مشابهاً ومماثلاً للصواب؛ حتى يقع في الحيرة والشك، وتتطلي عليه خدعته.

(٢) تعريف الشبهات في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء لها:

يقول الإمام الجرجاني: "الشبهة: هو ما لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً" (٣).

ويقول الإمام المناوي: "الشبهة: الظن المشتبه بالعلم ذكره أبو البقاء

(١) لسان العرب - مادة شبه - ج ١٣ ص ٥٠٣.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس - مادة شبه - ج ٣٦ ص ٤١١ وما بعدها.

(٣) التعريفات ص ١٦٥، ويُنظر أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ص ١٠٥، والحدود الأنبيقة والتعريفات الدقيقة للإمام زكريا الأنصاري ص ٧٧، والتعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي ص ١١٩.

وقال بعضهم الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب وقال ابن الكمال الشبهة الشيء المجهول حله وحرمته على الحقيقة كذا في الودائع وعبر عنه بعضهم بقوله ما لم يتيقن حله ولا حرمته ... الشبه والشبيه حقيقته في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم والعدالة والظلم. والشبهة أن لا يتميز أحد الشئيين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى" (١).

ويقول الدكتور/ محمد الزحيلي: "الشبهة: الشيء الغامض الذي يصاحب أمراً فيمتنع تمييزه عن غيره" (٢).

يتضح مما سبق أن معنى الشبهة في الاصطلاح يدور حول الشيء الباطل الذي يشبه الحق ويؤدي إلى الالتباس والاختلاط عند السامعين ويفتتهم عن المقصد الصحيح؛ لما فيه من غموض أو لشدة شبهه بالحق، لكن يتضح زيفه وبطلانه عند التمحيص والتدقيق.

ثانياً: تعريف القتال والجهاد لغة واصطلاحاً وبين الفرق بينهما.

(١) تعريف القتال في اللغة.

القتال في اللغة على وزن فَعَالٍ مصدر للفعل قَاتَلَ على وزن فاعل، يقول الإمام الفيروز آبادي: " قَاتَلَهُ، و. به، عن تَعَلَّبٍ، قَاتَلًا وَتَقَاتَلًا: أَمَاتَهُ، كَقَاتَلَهُ، و. الشيءَ حُبْرًا: عَلِمَهُ، و. الشَّرَابَ: مَرَجَهُ بِالمَاءِ. وَقَاتَلَهُ قِتَالًا وَمُقَاتَلَةً وَقِتَالًا، ... وَإِنَّهُ لَقَتِلُ شَرًّا: عَالِمٌ بِهِ، وبالضم وبضممتين، جمعُ قَتُولٍ، لكثيرِ القَتْلِ. وَأَقَاتَلَهُ: عَرَّضَهُ للقَتْلِ. وكَمُعَظِمٍ: المَجْرِبُ، و. من القُلُوبِ: المَدَّلُ الذي قَاتَلَهُ العِشْقُ. وأسْتَقَاتَلَ: اسْتَمَاتَ. ورجُلٌ وامرأةٌ قَتِيلٌ: مَقْتُولٌ، وإن لم تُذَكَرِ المرأةُ، فهذه قَتِيلَةٌ. وامرأةٌ قَتُولٌ: قَاتِلَةٌ ... واقْتَتَلَ، بالضم: إذا قَاتَلَهُ العِشْقُ أو الجِنُّ. وتَقَاتَلَ لِحاجَتِهِ: تَأَنَّى، و. المرأةُ في

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية، ج ٢ ص ٧٥٦.

مَشِيَّتَهَا: تَنَنَّتْ. وَتَقَاتَلُوا وَاقْتَتَلُوا: بِمَعْنَى (١).

ويقول الإمام ابن فارس: " القاف والناء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إِدْلالٍ وإِماتَةٍ. يقال: قَتَلَهُ قَتْلًا. وَالْقَتْلَةُ: الحالُ يُقْتَلُ عليها. يقال قَتَلَهُ قَتْلَةً سَوْءًا. وَالْقَتْلَةُ: المرّة الواحدة. وَمَقَاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أُصِيبَتْ قَتَلَهُ ذلك. ومن ذلك: قَتَلْتُ الشَّيْءَ خُبْرًا وَعِلْمًا " (٢).

يتضح مما سبق أن القتال مصدر للفعل قاتل، وهو يدل حقيقة على السعي لإذلال وإماتة الغير، ويستعمل مجازًا لمعان أخرى تتعلق بالمعنى الأصلي.

(٢) تعريف القتال في الاصطلاح.

القتال مصدر للفعل (قاتل)، وهو يرجع في أصل مادته إلى الفعل (قتل) الثلاثي، ومصدره (القتل)، وقد عرف العلماء القتل بتعريفات متعددة: يقول الإمام الجرجاني: "القتل هو فعل يحصل به زهوق الروح" (٣). وقريب منه تعريف محمد عميم الإحسان البركتي: "القتل: فعل يقطع علاقة الروح بالجسد وقطعها بالموت بفعل المتولّي لذلك وهو القاتل" (٤).

وبناء على ذلك يمكن القول: إن القتال عبارة عن السعي لإزهاق روح بواسطة فعل من الأفعال التي تؤدي لذلك، وهو فعال لا يتصور إلا من طرفين أما القتل فهو الذي يتصور من طرف واحد.

(٣) تعريف الجهاد لغة:

الجهاد مصدر جاهد، وأصل مادته (جَهَدَ) من الجَهْدَ بمعنى التعب والمشقة، يقول الإمام الجوهري: "الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة، وقرئ:

(١) القاموس المحيط ج ١ ص ١٠٤٦، ويُنظر تاج العروس للإمام الزبيدي ج ٣٠ ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة - مادة قتل - ج ٥ ص ٥٦.

(٣) التعريفات ص ٢٢٠.

(٤) التعريفات الفقهية ص ١٧١.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (التوبة: ٧٩) و﴿جَهْدَهُمْ﴾^(١). قال الفراء: الجهد بالضم الطاقة. والجهد بالفتح من قولك: اجهد جهدك في هذا الأمر، أي ابغ غايتك. ولا يقال اجهد جهدك. والجهد: المشقة. يقال: جهد جده وأجهدها، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجهد الرجل في كذا، أي جد فيه وبالغ. وجهدت اللبن فهو مجهود، أي أخرجت زبده كله. وجهدت الطعام: اشتهيته. والجاهد: الشهوان. وجهد الطعام وأجهد، أي استنهي. وجهدت الطعام، إذا أكثرت من أكله. ومرعى جهيد: جهده المال وجهد الرجل فهو مجهود، من المشقة، يقال أصابهم فحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً. وجهد عيشهم بالكسر، أي نكد واشتد. والجهاد بالفتح: الأرض الصلبة. وجاهد في سبيل الله مجاهدةً وجهاداً. والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود^(٢).

ويقول الإمام ابن فارس: " (جهد) الجيم والهاء والذال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾

(التوبة: ٧٩).

ويقال إن المجهود اللبن الذي أخرج زبده، ولا يكاد ذلك [يكون] إلا بمشقة ونصب ... ومما يقارب الباب الجهاد، وهي الأرض الصلبة. وفلان يجهد الطعام، إذا حمل عليه بالأكل الكثير الشديد. والجاهد: الشهوان. ومرعى جهيد: جهده المال لطيبه فأكله^(٣).

ويقول الإمام الزبيدي: " (الجهد) ، بالفتح: (الطاقة) والوسع، ويضم. و (الجهد، بالفتح فقط: (المشقة) . قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجهد والجهد في الحديث، وهو بالفتح المشقة، وقيل المبالغة والغاية. وبالضم:

(١) قراءة الضم متواترة، وقراءة الفتح لابن هرمز، وهي شاذة، يُنظر تفسير الزمخشري ج ٢ ص

٢٩٤، وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ٨٧، وتفسير الألويسي ج ٥ ص ٣٣٥.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - مادة جهد - ج ٢ ص ٤٦٠، ٤٦١.

(٣) معجم مقاييس اللغة - مادة جهد - ج ١ ص ٤٨٦، ٤٨٧.

الْوُسْعُ وَالطَّاقَةُ، وَقِيلَ: هُمَا لِعَتَانٍ فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ ... (وَجَهْدًا، كَمَنْعٍ) ،
يَجْهَدُ جَهْدًا: (جَدًّا، كَاجْتَهَدَ) وَجَهْدًا (دَابَّتَهُ) جَهْدًا (: بَلَغَ جَهْدَهَا) ، وَحَمَلَ
عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا ... (و) جَهْدًا (بِزَيْدٍ: امْتَحَنَهُ) عَنِ الْخَيْرِ
وَعَيْرِهِ. (و) جَهْدًا (الْمَعْرُضُ فُلَانًا) وَكَذَا التَّعَبُ وَالْحُبُّ يَجْهَدُهُ جَهْدًا: (هَزَلَهُ)
وَمِنَ الْمَجَازِ: جَهْدًا (اللَّبَنُ) فَهُوَ مَجْهُودٌ، أَيْ (أَخْرَجَ زُبْدَهُ كُلَّهُ) ... (و) جَهْدًا
(الطَّعَامَ: اسْتَهَاهَا، كَأَجْهَدَهُ) وَالْمَجْهُودُ: الْمُشْتَهَى مِنَ الطَّعَامِ وَاللَّبَنِ ... (و)
جَهْدَ الطَّعَامِ: (أَكْثَرَ مِنْ أَكَلِهِ) ... (و) الْجِهَادُ، (بِالْكَسْرِ: الْقِتَالُ مَعَ الْعَدُوِّ،
كَالْمُجَاهَدَةِ) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ} (الْحَج: ٧٨) يُقَالُ جَاهَدَ
الْعَدُوَّ مُجَاهِدَةً وَجِهَادًا: قَاتَلَهُ ... (و) مِنَ الْمَجَازِ: (أَجْهَدَ) فِيهِ (الشَّيْبُ)
إِجْهَادًا، إِذَا بَدَأَ وَ (كَثُرَ وَأَسْرَعَ) وَانْتَشَرَ ... (و) أَجْهَدْتَ لَكَ (الْأَرْضُ):
(بَرَزْتُ) وَأَجْهَدَ لَكَ الطَّرِيقُ (و) أَجْهَدَ لَكَ (الْحَقُّ)، أَيْ بَرَزَ وَ (ظَهَرَ
وَوَضَحَ) (و) أَجْهَدَ (فِي الْأَمْرِ: احْتَاطَ) وَهُوَ مُجْهَدٌ لَكَ: مُحْتَاظٌ ... (و)
أَجْهَدَ (الشَّيْءُ: اخْتَلَطَ) ، نَقَلَهُ الصَّاعِغَانِيُّ: (و) أَجْهَدَ (مَالَهُ: أَفْنَاهُ وَفَرَّقَهُ)
... (و) أَجْهَدَ عَلَيْنَا (الْعَدُوُّ) ، إِذْ (جَدَّ فِي الْعَدَاوَةِ)" (١).

يتضح مما سبق أن للجهاد معنيين أصليين، يرتبط بهما كل معانيه

الأخرى، وهما:

الأول: التعب والمشقة في أي عمل كان، من الجهد بفتح الجيم.

الثاني: بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في عمل ما، من الجهد بضم الجيم.

وأرى - والله تعالى أعلى وأعلم - أن كليهما مرتبط بالآخر؛ فبذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة فيه تعب ومشقة سواء كانت جسدية أو نفسية، وهما معًا يرتبطان بالمعنى الاصطلاحي ارتباطًا وثيقًا؛ فقتال الأعداء ومجاهدتهم فيه تعب ومشقة، ويجب على المجاهدين استفراغ طاقاتهم وإمكانياتهم في مواطن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى.

(٤) تعريف الجهاد اصطلاحًا:

(١) تاج العروس - مادة جهد - ج ٧ ص ٥٣٤ وما بعدها.

تنوعت تعريف العلماء للجهاد اصطلاحاً، يقول الإمام الجرجاني: "الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق" (١).

ويقول الإمام قاسم الرومي: "الجهاد: مصدر جاهدت العدو إذا قابلته في تحمل الجهد، أو بذل كل منكما جهده أي: طاقته في دفع صاحبه ثم غلب في الإسلام على قتال الكفار كذا في المغرب" (٢).

ويقول محمد عميم الإحسان البركتي: "الجهاد: الدعاء إلى الدين وقاتل من لم يقبله حقيقة أو حكماً بأداء الجزية أو المصالحة" (٣).

يتضح مما سبق أن الجهاد اصطلاحاً يدور حول عدة معانٍ، يمكن إجمالها فيما يلي - بناء على التعاريف السابقة - فيقال: (هو استفراغ الجهد والطاقة في الدعوة إلى الله تعالى بثتى الطرق، ومنها قتال الأعداء وفق الضوابط التي وضعها الإسلام، دون إكراه أو إجبار).
(٥) الفرق بين القتال والجهاد:

بعد تعريف كل من القتال والجهاد، أستطيع القول إن بينهما عموم وخصوص وجهي؛ حيث يجتمعان في محاربة غير المسلمين دفاعاً أو لنشر دين الله عز وجل، وينفرد القتال بثتى أنواع القتل والقتال الباقية، وينفرد الجهاد ببذل الوسع والجهد واستفراغ الطاقة في الدعوة إلى الله عز وجل دون قتال.

والذي يعيننا من هذه المعاني ما اشترك بينهما (محاربة غير المسلمين دفاعاً أو لنشر دين الله عز وجل)، فهو الذي سنتناوله ونركز عليه في هذا البحث.

(١) التعريفات ص ١٠٧.

(٢) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ص ٦٤.

(٣) التعريفات الفقهية ص ٧٤.

الفصل الأول: بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم (عرض ونقد).

ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: عرض بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الرد على هذه الشبهات من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة.

المبحث الرابع: الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.

المبحث الخامس: الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.

المبحث الأول: عرض بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها

القتال في القرآن الكريم.

وهي تتلخص في رميهم الإسلام بفرية مفادها أنه انتشر بحد السيف؛ كي يحاولوا إثبات أنه دين عنف وإرهاب.

وقد أطلقها نيلسون صراحة حين قال: "وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقية وآسيا شعبًا بعد شعب" (١).

وزعم يوليوس فلهاوزن أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن البداية ظهرت في أول اشتباك بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين؛ مما أدى إلى نصر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على أعدائهم؛ وهذه - من وجهة نظرة - كانت الزريعة أن يشرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة (٢).

ويؤكد على هذا المعنى في موطن آخر فيزعم أن القوة التي انتشر بها الإسلام كانت حد السيف خاصة بعد فتح مكة والمعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم لإرغام القبائل العربية على الدخول في الإسلام، ويؤكد كلامه مستدلًا أيضًا بما حدث من محاربة المرتدين لإجبارهم على الرجوع للإسلام - من وجهة نظره - بواسطة سيف الله تعالى: خالد بن الوليد الذي استعان به خليفة المسلمين أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أنه بعد عودة هذه القبائل للإسلام اتجهت الأنظار إلى الفتح الخارجي؛ كي ينخرط هؤلاء الأعراب في قوافل المجاهدين؛ تنافياً للفتنة، وحتى يكون ولاء هؤلاء الأعراب للإسلام ويدافعوا عنه ويرى أنهم لم يكن أمامهم خيار إلا الرجوع للإسلام وإلا قتلوا (٣).

بينما يزعم فان فلوتن أن هناك فرقاً بين انتشار الإسلام وانتشار

(١) نقلاً عن التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/ عمر فرّوخ - د/ مصطفى الخالدي، ج ٣ ص ٤١.

(٢) يُنظر تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص ١٥.

(٣) يُنظر السابق ص ٢٣.

المسيحية؛ مؤكداً أن المسيحية انتشرت عبر القرون بانسيابية أما الإسلام فكان على العكس من ذلك، متهماً الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحي وزماني عظيم بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد وكما يدل على ذلك غير آية من القرآن، وذلك النفوذ الذي كان يتمتع به الرسول دينيا قويا قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الإنذار والوعيد، ولم يكن اعتناق أهل الجزيرة العرب للإسلام أو بالأحرى خضوعهم له نتيجة دعاية سلمية، بل أرغمهم على الدخول في الإسلام سواء بعد بدر أو بعد فتح مكة، وقد حدث أكثر من ذلك - من وجهة نظره - بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد مع المرتدين (١).

ومثله غيومان لوسيتز حين قال: "إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح رحوا النفوس ببرهم وإحسانهم" (٢).

ويقول هاري آليس: "إن سنة ٧٣٢ وافقت ذكرى وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبلغت دعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل إلى أقصى المشرق، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة، بل كان الكثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الإسلام لتفضيلهم إياه على عقائدهم أو لأن الدخول في الإسلام يرفع عنهم الضرائب التي تُجبي من غير المسلمين" (٣).

وهذا في كلامه شيء قليل من الإنصاف لا يُقارن بكمية الافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام.

ويقول واشنطن إيرفنج: "إن بقاء الهلال حتى اليوم في أوروبا؛ حيث كان يوماً ما بالغاً غاية القوة إنما يرجع إلى اختيار الدول المسيحية

(١) يُنظر السيادة العربية والشيوعية والاسرائيليات في عهد بني امية، ص ٦.

(٢) نقلاً عن الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل ص ٨٦.

(٣) نقلاً عن الإسلام والحضارة الإنسانية للأستاذ عباس محمود العقاد، ص ١٢٠، ١٢١.

الكبرى أو يرجع بالأحرى إلى تنافسها، ولعل الهلال باق ليكون دليلاً على أن (من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ)" (١).

أما في العصر الحديث فقد أضافوا للإسلام تهمة أخرى تنبثق من الأولى، وهي زعمهم أنه دين إرهاب ويدعو للعنف، ولم يقتصر الأمر على كون إطلاق هاتين الشبهتين نهجاً فردياً لبعض الأشخاص، بل تعداه لبعض الساسة وأصحاب القرار في الدول الغربية، يقول الدكتور/ نبيل لوقا: "وقد زادت قسوة المستشرقين والكتاب والمثقفين الغربيين على الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، التي حدثت في أمريكا في نيويورك وواشنطن واتهموا الإسلام بأنه هو الذي صنع الإرهاب في العالم وأن من اتبعوه قاموا باتباعه خوفاً وقهراً من حد السيف لدرجة أن الساسة والحكام الغربيين اشتركوا في هذه الحملة الظالمة على الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر، فهي وزير العدل الأمريكي في حكومة بوش يتجنى على الإسلام بأنه دين العنف، وها هي تانتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة تنضم إلى قافلة التجني على الإسلام أنه دين العنف" (٢).

ومما يؤسف له تأثر بعض المسلمين بمثل هذه الأفكار المسمومة وتصديقهم لها، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات، ففي بيروت كان يُدرس في المدارس الفرنسية هناك لطلاب الصف الخامس كتاب بعنوان تاريخ محاضرات الشرق الأدنى للمستشرق ج. بلزك، وجاء في الكتاب: " وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة" (٣).

ومن يريد التأكد من مدى خطورة وتأثير هاتين الشبهتين، فليكتب

(١) نقلاً عن المستشرقون والإسلام، د/ زكريا هاشم، ص ٤٤.

(٢) انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، ص ٢٥.

(٣) نقلاً عن الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل ص ٨٦.

في محرك البحث (Google) عبارة انتشار الإسلام بحد السيف، أو الإسلام دين العنف، أو الإسلام دين الإرهاب؛ فسيرى العجب العجاب مما يندى له الجبين من أناس حاقدين على الإسلام أو جاهلين أو مخدوعين.

خلاصة آراء المستشرقين:

(١) يوجد بينهم شبه إجماع على هذه الفرية، وهم متنوعون بين من ذكر أدلة ومن لم يذكر.

(٢) تتلخص أدلتهم فيما يلي:

أ - تشريع القتال في الإسلام وبداية انتشاره بالقوة - كما يزعمون - بعد غزوة بدر.

ب - زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبر جميع العرب على الدخول في الإسلام قبل وفاته، خاصة بعد فتح مكة.

ج - استدلالهم بحروب الردة على أنها تنافي حرية الاعتقاد؛ حيث يظنون أنها أجبرت المرتدين على الرجوع للإسلام مرة أخرى تحت تهديد السيف.

د - ظنهم أن التوسع في الفتوحات الإسلامية كان لضمان ولاء المرتدين الذي أجبروا على الرجوع للإسلام، ولصرف أنظارهم عن التفكير في الارتداد مرة أخرى؛ لأنهم سيصبحون درعاً وحماية للإسلام يزودون عنه بأنفسهم وأولادهم وأموالهم.



هـ - رميهم الفتوحات الإسلامية بأنها قد أتت لإجبار الناس على الدخول في الإسلام، بينما يرى بعض من عنده شيء من الإنصاف أن الناس إما دخلوا عن اقتناع أو لرفع الجزية عنهم أو خوفاً من السيف، وقد أنصف في الأولى فقط؛ وهم بهذا يبررون ما قاموا به من مذابح للإسلام والمسلمين، في حروبهم المختلفة.

(٣) أن هذه الفرية عامة لا تقتصر على بعض المفكرين، بل تتعداهم لبعض الساسة وأصحاب القرار.

(٤) أن هذه الفرية لا تقتصر على غير المسلمين، بل تعدتهم إلى المسلمين، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما السبب وراء رمي الإسلام بهذه الفرية التي لا أساس لها من الصحة؟

عند التدقيق في واقع الإسلام والمسلمين اليوم أستطيع أن أستخرج بعضاً من هذه الأسباب، وهي:

١ - تنفير الناس من الإسلام برسم صورة سيئة له؛ مما يؤدي إلى عدم الرغبة في استكشافه، خاصة أنه أكثر الأديان انتشاراً، ولو ترك دون تشويه لدخل الناس فيه أفواجاً.

٢ - صرف المسلمين عن الدعوة إلى الله تعالى، بتشويه الإسلام وأهله، فيقفوا موقف المدافع، وينشغلوا بالدفاع ويتركوا الدعوة إلى الإسلام.

٣ - بث روح الهزيمة النفسية في نفوس ضعاف المسلمين، بمثل هذه الشبهات.

٤ - محاولة تبرير ما قام به الاحتلال الغربي من مجازر وحشية للإسلام وأهله، بدعوى رد ما فعله بهم المسلمون.

٥ - تأهيل المجال لخروج جماعات إسلامية متشددة لا تمت إلى الإسلام

- بصلة يعتقدون هذه الفكرة (انتشار الإسلام بحد السيف) ويطبقونها،
مما يؤدي إلى:
- أ - تشويه صورة الإسلام داخلياً وخارجياً.
- ب - معاناة الدول والشعوب كافة ومحاولاتهم المستميتة للقضاء على هذه الفرق الضالة.
- ج - تأثر بعض الجهلاء بأفكارهم الخداعة، سواء انضموا لهم أو كانوا بذرة ستنمو في يوم من الأيام.



المبحث الثاني: الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

أولاً: آيات تدعو للتفكير والتدبر والنظر قبل قبول الدخول في الإسلام أو رفضه.

الآيات في هذا الباب كثيرة جداً، فقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات، منها ما يوجه نظرهم فيها لما في هذا الكون من دلائل على وجود الحق عز وجل، قال تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤) ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقال تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَّجِرَاتٌ وَحَتَّىٰ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَنَخْلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٤)، وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ (الجاثية: ٣ - ٥).

ومنها ما يضرب فيها الأمثال، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا

أَنَّهُمْ قَدَرُونَ عَلَيْهَا أَمَّا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ
بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ (يونس: ٢٤)، وقال تعالى
﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد: ١٩).

ومنها ما يلفت النظر فيه إلى ما حدث للأمم السابقة حين أعرضوا
وكذبوا رسلهم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى بعد ذكر قصة قوم لوط
﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت:
٣٥)، وقال تعالى بعد قصة نوح عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ
مِن مَّدْكِرٍ ﴾ (القمر: ١٥).

وقال تعالى عموماً في ختام سورة يوسف التي سمى قصصها
أحسن القصص ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُنْتَهَىٰ وَلَٰكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

ثانياً: آيات تدعو إلى حرية الاعتقاد وعدم الإكراه في الدين:

الآيات في هذا الباب صريحة، قطعية الدلالة منها:

قوله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن
يَكْفُرْ بِطَاغُوتٍ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا
انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا

يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾
(الكهف: ٢٩).

بل قد جاءت سورة كاملة تُسمى بسورة الكافرون، تؤكد ما سبق من معان بطريقة بليغة؛ لتغلق الطريق أمام من يهرفون بمثل هذه الشبهات، قال تعالى ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ (الكافرون: ١ - ٦).

أبعد مثل هذه الآيات يمكن أن يُقال إن الإسلام انتشر بحد السيف وإنه دين يدعو إلى العنف والإرهاب.

ثالثاً: آيات تدعو إلى إعمال العقل والفكر فيما جاء به القرآن والتفكر فيما في الكون من الدلائل والبراهين.

القرآن مليء بمثل هذه الآيات، فمنها ما يدعو الحق حل في علاه الناس لإعمال العقل والتفكر فيما جاءهم من القرآن: قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، وقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، وقال ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص: ٢٩).

ومنها ما يدعوهم فيها إلى التفكير في خلقه سبحانه وتعالى، وما فيه من دليل على صنع الله الذي أتقن كل شيء، قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
 بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٦٤﴾، وقال ﴿
 هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
 تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ
 وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
 ﴿النحل: ١٠ - ١١﴾، وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ
 وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الرعد: ٣﴾، وقال ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا
 الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
 الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الحشر: ٢١﴾.

ولو نتبعت الآيات في هذا الباب لاحتجت إلى بحوث وبحوث،
 ولكن أكتفي بالإشارة إليها.

**رابعاً: آيات تنعى على المشركين في كل زمان عدم إعمال عقولهم وانسياقهم وراء ما
 كان عليه آباؤهم.**

قال تعالى في بيان هذه القاعدة واطرادها عند جميع الأمم
 ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ أُولُو جِحْتِكُمْ
 بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ

كَفَرُونَ ﴿٢٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿الزخرف: ٢٣ - ٢٥﴾.

وقال في شأن مشركي قريش ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الزخرف: ٢١ - ٢٢)، وقال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (البقرة: ١٧٠)، وقال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (المائدة: ١٠٤)، وقال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ (نقمان: ٢١).

فهذه الآيات وأمثالها كثير كلها تصب في بوتقة إعمال العقل قبل الدخول في الإسلام والتفكير قبل الإقدام على هذه الخطوة، فهل يُحس فيها بأي رائحة لإجبار أو عنف؟

خامساً: آيات تبين ان طبيعة الناس الاختلاف، وأنه سبحانه وتعالى لو شاء لآمنوا جميعاً، ولكن ذلك اختبار لهم؛ حتى لا يستوي المؤمن بالكافر، والجزاء لكل يوم القيامة، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ (المائدة: ٤٨)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود: ١١٨)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٣)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَبِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى: ٨).

فهذه طبيعة البشر، وطبيعة الرسالة، والا فما الداعي لإرسال الرسل والحساب والجزاء على ما قدمه الإنسان في هذه الدنيا.
سادساً: آيات تجدد مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمجرد الإبلاغ فقط أما الهداية فمن الله عز وجل وحده.

الآيات في هذا الباب كثيرة فمنها ما يدل على عموم هذه المهمة لكل الأنبياء، قال تعالى ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة: ٩٩)، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

(العنكبوت: ١٨)، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النحل: ٣٥)، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (العنكبوت: ١٨)، وقال تعالى على لسان الرسل الذين أرسلوا لأهل القرية ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (يس: ١٧)، ومنها ما هو خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم، سواء أكان الخطاب له، قال تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النحل: ٨٢)، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (الزمر: ٤٠)، وقال تعالى ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَمْتُمْ فَإِنْ أَسَامُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠)، أم لغيره، قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (المائدة: ٩٢)، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور: ٥٤)، وقال تعالى ﴿ فَإِنِ اعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً

فَرِحَ بِهَا ^ط وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ
 كَفُورًا ﴿ (الشورى: ٤٨)، وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ (التغابن:
 ١٢)، وقال تعالى ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ
 ﴾ (الأنعام: ٦٦).

ومن هذه الآيات ما تنفي عن الأنبياء إجبار الناس على الإيمان
 بطريق آخر؛ فتنفي كونهم وكلاء أو حفظاء على الناس، وقال تعالى على
 لسان نبيه شعيب عليه السلام ﴿ بَقِيَّتِ اللَّهُ حَيَّرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ^ع وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (هود: ٨٦)، وقال تعالى
 بخصوص نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَوْشَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا
 جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧)،
 وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى
 فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ^ط وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس: ١٠٨)، وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ^ط
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الزمر: ٤١)، وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾
 (الشورى: ٦)، وقال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ
 أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ^ط وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾
 (الأنعام: ١٠٤).

ويلاحظ مما سبق أن الايات كلها تؤكد على مهمة الرسل، وهي إيلاخ الرسالة فقط وإقامة الحجة والبراهين على ذلك، وتنفي عنهم ما سوى ذلك، فالله جل في علاه هو الوكيل والحفيظ، وعلى الرسل عليهم السلام البلاغ وعليه سبحانه وتعالى الحساب.

سابعاً: آيات تبين حوار الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم ودعوتهم لهم بالحكمة والموعظة الحسن وجدالهم بالتي هي أحسن.

أجد ذلك في قصة نوح عليه السلام مع قومه؛ حين لبث فترة طويلة يدعوهم إلى الإيمان، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٤) .

وفي وصف جانب من دعوته قال تعالى على لسان قومه ﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢) .

وذكر تعالى جانباً من حوار هود عليه السلام مع قومه، قال تعالى ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴿٥٤﴾ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَكُمْ شُرَكَاؤُا أَنْتُمْ كُفْرًا ﴿٥٥﴾ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ مِنْ دُونِهِ ﴿٥٧﴾ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿٥٩﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود: ٥٣ - ٥٧) .

وذكر تعالى طرفاً من حوار صالح عليه السلام مع قومه، قال تعالى ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّآ لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۗ وَمَا تَزِيدُونِي إِلَّا عِزًّا تَخْسِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ (هود: ٦٢ - ٦٣) .

وذكر تعالى طرفاً من حوار شعيب عليه السلام مع قومه، قال تعالى ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ (هود: ٨٧ - ٨٨) .

وذكر تعالى طرفاً من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وكيف جادله بالحسنى، وعندما لم يقتنع أخبره بأنه سيستغفر له، قال تعالى ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكُتُبِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَتَكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴿مريم: ٤٢ - ٤٧﴾ .

وحواره عليه السلام مع قومه، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الأنبياء: ٥١ - ٥٦) .

وخاطب موسى وأخاه هارون عليهما السلام أمراً إياهما باللين في الدعوة، قال تعالى ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٢ - ٤٤) .

وحينما خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم، أمره قائلاً ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل: ١٢٥) .

والآيات والأحاديث التي تصف حوار النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام أكثر من أن يُحصيها هذا البحث المتواضع وحسبي أنني قد أصبت منها بعض الإشارات.

المبحث الثالث: الرد على هذه الشبهات من خلال السيرة النبوية المطهرة.

إن المطالع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد العجب العجاب، في دعوته ومجادلته بالحسنى لقومه مع صدهم وجحودهم للحقيقة التي تبدو واضحة مثل الشمس، ولو استقصيت الحديث عن ذلك ما كفتني مجلدات كثيرة، ولكن سأقتطف من ذلك بعض المواقف:

أولاً: مدة سلمية الدعوة أكثر من المدة التي شرع القتال فيها.

بداية الدعوة إلى الله كانت سلمية لمدة توازي نصف مدة الدعوة، أو تزيد، فلم يشرع القتال إلا بعد الهجرة، وقد كان باستطاعة المسلمين أن يُقاتلوا المشركين، خاصة أنهم بين أظهرهم، لكن الله تعالى لم يُرد ذلك، ومن يقول إنهم كانوا مستضعفين، فليُنظر الآن ماذا تفعل الجماعات الإرهابية داخل الدول، لكن شتان بين هؤلاء وبين الرسالة المحمدية؛ لذلك لم يؤمروا بالقتال مع قدرتهم.

ولقد أودى المسلمون أشد الإيذاء، في سبيل الله عز وجل، يصور ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن حَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِإِثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى عَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" (١).

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام- حديث رقم (٣٤١٦) ج ٣ ص ١٣٢٢.

بل وصل الإيذاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، أخرج الإمام البخاري عن عُرْوَةَ بن الزبير: "أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَلِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَقِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَتَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" (١).

ثانياً: قبول الفداء من أسارى بدر بعد هزيمة المشركين.

نصر الله تعالى المؤمنين على المشركين في أول غزوة، وهي غزوة بدر؛ وكان نتيجة لذلك أن وقع بعض الأسرى من مشركي قريش الذين تقننوا في التعذيب والتنكيل بالمسلمين؛ حيث أذاقوهم العذاب صورا وألواناً شتى، فكان طبعياً أن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الأسارى والتنكيل بهم أسوة بما فعلوه به وبالمسلمين، لكنه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر بن الخطاب فأشار أبو بكر عليه ويقبول الفدية منهم، وأشار عمر عليه أن يمكن كل مسلم من قريبه فيضرب عنقه، أخرج الإمام أبو داود عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: "قلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم آمين والمائكة في السماء فوافقت إباحهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه - حديث رقم (٣٠٥٩) ج ٣ ص ١١٨٠.

ما تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَى يَا بَنَ الْخَطَّابِ قُلْتَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمْكِنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمْكِنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةٌ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً نَبَاكَيْتُ لِيُكَايَكُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنْبِكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَدَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةَ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَاسْرِي حَتَّى يُبْخَنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴾ ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال: ٦٧ - ٦٩)، فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ^(١).

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى خيرا، سواء في المعاملة أو المأكل والمشرب، وتباين فداء الأسرى، فمن كان ذا مال فداؤه أربعة آلاف درهم، ومن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة، وأخذوا من العباس مائة أوقية، ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية.

(١) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم - جزء من حديث رقم (١٧٦٣) ج ٣ ص ١٣٨٣.

وأطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر، ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة جعل فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة^(١).

أبعد ذلك يُتهم الإسلام بأنه دين عنف وإرهاب، لو قتل الأسارى لما اتهم بذلك، فكيف وقد قبل منهم الفداء، ثم ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرًا على أن ينزل الوحي يخبر بقتلهم قبل قبول الفدية؟ بلى قادر على كل شيء، لكنه - والله تعالى أعلى وأعلم - أراد أن يُعطي العالم أجمع صورة عن الإسلام ونبيه مفادها كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ثالثًا: مقتل بعض الدعاة من المسلمين.

وقعت في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - واقعة مؤسفة قتل فيها بعض حفاظ وقرآء القرآن ، وقد تحدث عنها أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، ورُوي عنه فيها روايات كثيرة ، منها:

١ - ما رواه الإمام البخاري عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوه على قومهم فأمدهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بسبعين من الأنصار قال أنس : كنا نسْمِيهم القراء يحطبون بالنهار ويصلون بالليل فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم ففقت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبنو لحيان قال قتادة :

(١) يُنظر فقه السيرة للشيخ/ محمد الغزالي السقا، ص ٢٤٢ وما بعدها، والسيرة النبوية للشيخ/ أبي الحسن الندوي، ص ٢٣٣ وما بعدها، والرحيق المختوم، للشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري، ص ٢٠٨ وما بعدها.

وحدثنا أنس أنهم قرؤوا بهم قرآنا ألا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم رفع بعد ذلك " (١) .

٣ - ما رواه الإمام البخاري عن أنس - رضي الله عنه - قال : " بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - سرية يقال لهم القراء فأصيبوا فما رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر ويقول إن عصية عصت الله ورسوله " (٢) .

٤ - ما رواه الإمام ابن حبان عن أنس - رضي الله عنه - قال : " كان شباب من الأنصار يسمون القراء يكونون في ناحية من المدينة يحسب أهلهم أنهم في المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم في أهلهم فيصلون من الليل حتى إذا تقارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا من الماء فوضعوه على أبواب حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم جميعا إلى بئر معونة فاستشهدوا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلهم أياما " (٣) .

يُفهم مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث سبعين من خيرة الصحابة مع قوم زعموا أنهم أسلموا ولم يكونوا كذلك ليعلموهم أمور دينهم ويدعوا أقوامهم عسى أن يُسلموا، فغدروا بهم وقتلوهم.

(١) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير باب العون بالمدد - حديث رقم (٢٨٩٩) ج ٣ ص ١١١٥ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب الدعاء على المشركين وقول الله تعالى " ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " - حديث رقم (٦٠٣١) ج ٥ ص ٢٣٤٩ .

(٣) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضي الله عنهم أجمعين - باب فضل الصحابة والتابعين - حديث رقم (٧٢٦٣) ج ١٦ ص ٢٥٣ .

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه - حديث رقم (١٣٤٨٧) ، (١٣٤٨٨) ، (١٣٤٩٠) ج ٣ ص ٢٣٥ .

والإمام البيهقي في سننه - كتاب الحيض - باب القنوت في الصلوات عند نزول نازلة - حديث رقم (٢٩١٧) ج ٢ ص ١٩٩ .

وقريب منها هذه القصة أخرج الحاكم عن عاصم بن عمر بن قتادة أن ناسا من عضل والقارة وهما حيان من جديلة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد فقالوا إن بأرضنا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة نفر منهم مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وهو أميرهم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعبد الله بن طارق الظفري وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فخرجوا وأميرهم مرثد بن أبي مرثد حتى إذا كانوا بالرجيع أتتهم هذيل فلم يرع القوم في رحالهم إلا الرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم بها فأخذ القوم أسيافهم ليقاتلوا فقالوا اللهم ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب من أهل مكة فلکم عهد الله وميثاقه فأما عاصم ومرثد وخالد فقاتلوا حتى قتلوا وقالوا والله ما نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا" (١).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ما الداعي لإرسالهم إذا كان الدخول في الإسلام يقوم على الإجبار؟ ولماذا فضل النبي صلى الله عليه وسلم طريق الدعوة بالحسنى مع خطورتها على طريق القتال؟ ثم لماذا لم يُخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما سيحدث حتى يتجنب مثل هذه الفاجعة؟

رابعًا: تحرير سبي يهود خيبر ودخولهم في الإسلام.

أخرج الإمام البخاري عن عن أنسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا خَيْبَرَ ... قَالَ فَأَصَبْنَاهَا
عَنوَةٌ فَجُمِعَ السَّبِيُّ فَجَاءَ دِحْيَةُ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ
السَّبِيِّ قَالَ أَذْهَبَ فَحَدُّ جَارِيَةً فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُبَيْبٍ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ

(١) المستدرک علی الصحیحین - کتاب معرفة الصحابة - باب ذکر مناقب مرثد بن أبي مرثد الغنوي - حدیث رقم (٤٩٧٩) ج ٣ ص ٢٤٥.

صلى الله عليه وسلم فقال يا نبيِّ الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فأعنفها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما صدقها قال نفسها أعنفها وتزوجها" (١).

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أروع مثال في الإنسانية؛ حين أعتق هذه المرأة الأسيرة، التي قتل زوجها، وهي ابنة سيد من سادات اليهود؛ ونتيجة لذلك أعتق المسلمون من في أيديهم من أسرى اليهود؛ حتى لا يكون أصهار النبي صلى الله عليه وسلم عبيداً بينهم؛ وأدى ذلك إلى ما ينشده النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل يهود خيبر في دين الله أفواجا؛ لما لمسوه من عدالة الإسلام وسماحته (٢).

خامساً: إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الرسل إلى ملوك العالم يدعوهم للدخول في الإسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا كُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ : ٢٨) .

فعندما استتب له الأمر، وبدأ العرب يدخلون في دين الله أفواجا قام بدعوة غيرهم وأرسل الرسل وبعث البعث للملوك والأمراء.

فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُدَّافَةَ إِلَى كِسْرَى، وَدِحْيَةَ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَسَلَيْطَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْيَمَامَةِ، وَالْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى بِهَجَرَ، وَعَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ، وَعَبَّادَ ابْنِي الْجَلْنُدِيِّ بِعَمَّانَ، وَشُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ إِلَى ابْنِ

(١) السابق - كتاب الصلاة - باب ما يُذكر في الفخذ - جزء من حديث رقم (٣٦٤) ج ١ ص ١٤٥

(٢) يُنظر فقه السيرة للشيخ/ الغزالي ص ٣٤٧ وما بعدها، والرحيق المختوم للمبارك فوري ص ٣٤٤ وما بعدها.

أَبِي شَمِرِ الْعَسَانِيِّ، وَحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُفَوِّقِ، وَكُتِبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَأَسْلَمَ، وَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ كُتِبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِبْرَاهِيمِيَّةِ وَحَدَّاهُ (١).

وجاء في خطابه لهرقل ملك الروم: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسَلِّمُ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤) (٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: إذا كان الإسلام قد انتشر بحد السيف كما يزعمون، فما الداعي لإرسال الرسل الذين قد يقتلوا؟
الجواب في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعِزَّةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٤).

وقد اثمرت هذه الوسيلة، فقد آمن البعض، وكاد أن يؤمن البعض، وجدد واستكبر آخرون (٣).

(١) يُنظر السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧ وما بعدها، وفقه السيرة للشيخ/ الغزالي ص ٣٥٦ وما بعدها، والرحيق المختوم للمبارك فوري ص ٣٢٤ وما بعدها، والسيرة النبوية للشيخ/ أبي الحسن الندوي ص ٣٩٣ وما بعدها.

(٢) يُنظر صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال - حديث رقم (٢٧٨٠) وما بعده ج ٣ ص ١٠٧٤ وما بعدها.

(٣) من الذين آمنوا: النجاشي ملك الحبشة، ومن الذين رفقوا وكادوا أن يؤمنوا لولا خوفه من قومه وخشيته من ضياع ملكه: هرقل عظيم الروم ومن الجاحدين المستكبرين كسرى عظيم

سادساً: فتح مكة والعنوة عن مشركيها.

حينما أشرف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على مكة كي يفتحوها قال سعد بن عبادة رضي الله عنه - وهو أنصاري من النقباء - لأبي سفيان رضي الله عنه: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فخاف بعض المهاجرين أن يشتد سعد في قتاله لقريش - وهو حامل راية الأنصار - فقال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: يا رسول الله، والله لا نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة، فتصرف النبي صلى الله عليه وسلم سريعاً، فبين أولاً خطأ هذه المقولة، فقال صلى الله عليه وسلم: "كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة"، وقيل إنه قال: "يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشاً"، ثم أرسل إلى سعد رضي الله عنه، فأخذ الراية منه وسلمها إلى ابنه قيس، ولما اعترض الأوباش جيش المسلمين ولم يراعوا الأمان والعهد، أمر النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقتلوهم، وأذن لهم بالقتال بعد المنع، ففعلوا ذلك، ولم يعترضهم أحد إلا وتصدوا له حتى قُتل أو فر هارباً، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعاً واضعاً رأسه ومردفاً أسامة بن زيد رضي الله عنهما (١).

والسؤال: لماذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسرهم وبذلهم على الأقل؟ إن فعل ذلك فليس عليه وزر، بل يكون ردّاً لما فعلوه به وبالمؤمنين.

الفرس، يُنظر يُنظر السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧ وما بعدها، وفقه السيرة للشيخ/ الغزالي ص ٣٥٦ وما بعدها، والرحيق المختوم للمبارك فوري ص ٣٢٤ وما بعدها.

(١) يُنظر السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ج ٣ ص ٥٦١ وما بعدها، والرحيق المختوم للشيخ المباركفوري ص ٣٦٧ وما بعدها.

الجواب: إنه لا يريد فتح الحصون بل فتح القلوب، كما جاء في صفته في التوراة، أخرج الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥) قال في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ولا سخط عليك ولا غيظ ولا سخط بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غفلاً" (١).



(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) - حديث رقم (٤٥٥٨) ج ٤ ص ١٨٣١.

المبحث الرابع: الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل

أهلها الإسلام دون قتال.

لم يقتصر انتشار الإسلام على ما لمسه غير المسلمين من سماحة وعدالة الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية، بل إن هناك دولاً لمس أهلها ذلك من مخالطة المسلمين دون أن يفتح المسلمون هذه الدول، وانتشر الإسلام فيها انتشاراً يوازي الدول التي فتحها المسلمون، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كذب الفرية التي رمى بها أعداء الإسلام من أنه انتشر بحد السيف، وذلك مثل دول في قارة آسيا: كإندونيسيا، وماليزيا، والفلبين، وسنغافورة، وبورما، وفيتنام، وكمبوديا، ولاوس، وتايلند، والصين، وتركستان الشرقية، وبروناي، يقول الدكتور/ محمود قمر: " والحقيقة أن قصة انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا تُعدُّ من أعظم قصص انتشار الإسلام في العالم؛ فالمسلمون لم يذهبوا إلى هذه المناطق الشاسعة المساحة العظيمة السكان بجيوش فاتحة، ولم يخوضوا مع أهلها حروباً تُذكر، وإنما ذهبوا إليها كتُّجار يحملون أخلاقَ الإسلام، وهَمَّ الدعوة إلى الله، وذلك بالحسنى والمعاملة الحسنة، فحقَّقوا القاعدة الأصلية التي تؤكد أن الإسلام إنما يغزو القلوب لا الأراضي أو البلدان. فقد حمل التجار المسلمون بضائعهم، ورحلوا من المشرق الإسلامي إلى تلك البلاد النائية عن طريق البحر، وكان لعرب جنوب الجزيرة العربية اليمنيين والعُمانيين النصيب الأوفى في ذلك، فأخذوا يبيعون ويبتاعون، ووجد أهل تلك البلاد النائية فيهم الصدق، وعرفوا فيهم العفة والأمانة، ثم علموا أن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها؛ فحُبِّبَ الإسلام إلى نفوسهم؛ الأمر الذي لم

يظلوا عليه طويلاً حتى باتوا يَدِينُونَ بالإسلام، وأصبحوا من أبنائه المخلصين" (١).

وقد تناول الدكتور بالتفصيل في كتابه وقائع انتشار الإسلام في ربوع قارة آسيا دون أن تسال قطرة دم واحدة مما يعطي دليلاً دامغاً على أن غرض الإسلام الحقيقي فتح القلوب لا البلدان.

وكما فتحت معظم قارة آسيا دون قتال فتحت معظم قارة إفريقيا أيضاً دون قتال، حيث فتحت مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب فقط، أما بقية إفريقيا فدخل أهلها الإسلام دون قتال، فقد انتشر الإسلام في بقية إفريقيا أيضاً عن طريق التجار؛ لما لمسها السكان من أخلاق المسلمين التي كانت تجسيدا عملياً لأخلاق هذا الدين التي يدعو إليها القرآن والسنة، وقد ألف المؤرخون لثبتوا هذه الحقائق، وبدونوا كيفية تأثر غير المسلمين بالمسلمين الذين وفدوا عليهم للتجارة وللاستيطان ببلادهم (٢).

والذي يعني في هذا المقام إثبات هذه الحقيقة التاريخية التي لا يجهلها أحد، ولذلك لم استقص في بيان تفاصيلها، فقد كفتني بذلك كتب التاريخ، وإنما يكفي إثبات ما ينقض هذه الشبهات كما بينت.

ولم يقتصر الأمر على التأثير في الغير المسالمين الذين تربط المسلمين بهم أوامر الصداقة فقط، بل تعداه إلى التأثير في الأعداء أيضاً، فقد حدثنا التاريخ عن أعداء تأثروا بالإسلام ودخلوا فيه مع أنهم كانوا بالأمس القريب ألد أعدائه وأشدهم على أتباعه، تفتيلاً وتدميراً وتكيباً؛ فلم يسجل التاريخ نكبة للأمة الإسلامية كما سجل من نكبات المغول عليها.

(١) الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا ص ١
(٢) من هذه المؤلفات: انتشار الإسلام في شرقي إفريقيا ومناهضة الغرب له للدكتور محمد عبد الله النقيرة، وانتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء للأستاذ/ عبد الله سالم محمد بازينة.

وقد أبدى توماس أرنولد استغرابه من ذلك حين قال: "ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده الخالد، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبريرين ويحملهم على اعتناقه، ويرجع الفضل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمناهضة منافسين قويين، كانا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار، وليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، كل ديانة تنافس الأخرى، لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساء، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم" (١).

فقد توزعت دولة المغول بعد وفاة جنكيز خان إلى أربعة فروع، وبدأ الإسلام ينتشر في هذه الفروع الأربعة، وأصبح التتار يعتقدون الإسلام ففي ظرف مائة سنة دخلوا الإسلام، وقد عرض أرنولد عدة أحداث تلقي الضوء على ذلك (٢).

فهل بعد ما عرض يخالج أي أحد أدنى شك في بطلان هذه الشبهة وما ترتب عليها من أباطيل؟



(١) الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ص ٢٥٠.
(٢) يُنظر السابق ص ٢٤٦ وما بعدها.

المبحث الخامس: الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات

المنصفين من المستشرقين.

كما وجد من يتهم الإسلام بهذه الفرية وجد أيضاً من المستشرقين من يدافع عنه ويدحض عنه هذه الافتراءات إحقاقاً للحق واحتراماً للعدالة والإنصاف:

يقول جوستاف لوبون: "لم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب" (١).

ويقول توماس كارليل في معرض حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل ليقاتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته، فإذا آمن به من يقدر على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها" (٢).

ويقول جيمس ميتشنر: "اعتقد الغرب أن توسع الإسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون إلى السيف ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة والدليل قوي على أن الإسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان ما دام أهلها يحسنون المعاملة ويدفعون الجزية" (٣).

أما عن معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فيصورها بعضهم قائلاً: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على

(١) حضارة العرب ص ١٢٨.

(٢) المستشرقون والإسلام للدكتور/ زكريا هاشم ص ٤٣، ٤٤.

(٣) المستشرقون والإسلام للدكتور/ زكريا هاشم ص ٥٠.

قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي" (١).

ويقول المستشرق بارتولد: "إن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل" (٢).

ويقول المستشرق ديورانت: "لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام" (٣).

وتبرهن إحداهم على ذلك بعدم تحول المسلمين عن دينهم مع حملات التبشير ومع أن حكوماتهم غير مسلمة فنقول: "إن أحدًا لا يستطيع اليوم أن يزعم أن سيف الفاتح هو الذي يمهّد السبيل أمام الإسلام - على العكس - ففي الأصقاع التي كانت في يوم من الأيام دولاً إسلامية تولت مقاليد السلطة حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى وعملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظمات تبشيرية قوية، ومع ذلك فإن هذه الحكومات وتلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الإسلام وإقصائه عن حياة الشعوب الإسلامية" (٤).

ويقرر أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين وهو: أندرو باترسون أن الإسلام والعنف لا يجتمعان أبداً؛ لأنه دين يدعو للسلام، فيقول: " إن

(١) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص ١٩٩.

(٢) يُنظر السابق ص ١٢٤.

(٣) قصة الحضارة ج ١٣ ص ١٣٠.

(٤) دفاع عن الإسلام للورافيشيا غليري ص ٤٠.

العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف" (١).

أما عن سبب إقبال غير المسلمين على الدخول فيه فيصوره المستشرق دوزي قائلاً: "إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة" (٢).

وبعد فهذا غيظ من فيض أثبتته هنا لمن لا يؤمنون إلا بمثله من الأدلة، وهي وغيرها من أقوال المنصفين أحد الأدلة على نقض هذه الشبهة من أساسها.



(١) لا سكوت بعد اليوم لبول فنكلي ص ٩١.
(٢) يُنظر: تاريخ أهل الذمة في العراق لتوفيق سلطان ص ٧٠.

الفصل الثاني: تفسير الآيات التي ذُكر فيها القتال.

ويحتوي على ستة مباحث:

المبحث الأول: آيات قرآنية تقيد القتال بحال الدفاع ورد الاعتداء

المبحث الثاني: آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

المبحث الثالث: آيات نزلت في أناس مخصوصة.

المبحث الرابع: آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.

المبحث الخامس: أحاديث ذُكر فيها القتال.

المبحث السادس: استنتاج واستنباط مما سبق.



تمهيد:

ذُكر القتال في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بصيغ شتى، في سور وأحاديث متعددة، كما ذُكر لفظ الجهاد فيهما أيضاً بصيغ شتى وصور متعددة؛ وذلك يدل على أهميتهما، وعظيم مكانتهما^(١). وليس غرضي استقصاء كل الآيات والأحاديث التي ورد فيها القتال والجهاد بمشتقاتهما وصورهما، بل سأقف بإذن الله تعالى مع بعض الآيات التي يُوهم ظاهرها اتهام الإسلام بهذه الفرية، وكذا بعض الأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وأضُم لهما بعضاً مما يدفع هذه الشبهة من الآيات والأحاديث، وسأقسمها إلى مجموعات، أتناول بعون الله تعالى وتوفيقه في كل مبحث مما يلي بعضاً منها بتفسير إجمالي، ثم أتبع ذلك بمبحث خاص بالاستنتاج والاستنباط مما سبق، والله الموفق والمستعان.



(١) يُنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة (ق ت ل) ص ٥٣٣ وما بعدها، ومادة (ج ه د) ص ١٨٢، ١٨٣.

المبحث الأول: آيات قرآنية تقيد القتال بحالة الدفاع ورد الاعتداء

وتبين أنه شرع لنصرة المظلومين.

وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تتحدث عن القتال دفاعاً عن النفس والعرض والأوطان وغيرها، كما وردت آيات أخرى تقيد أن القتال إنما شرع رداً على ظلم قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وإيذائه والمسلمين أشد الإيذاء، منها:

قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(١٩٠) **وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمُ فِيهِ فَإِن قَاتَلَكُمُ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِن أَنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنْتَهُوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾** (البقرة: ١٩٠ - ١٩٤).

معاني المفردات:

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ}: سبيل الله: دينه. {ثَقِفْتُمُوهُمْ}: وجدتموهم. {الْفِتْنَةُ}: الابتلاء.^(١)

المعنى الإجمالي للآيات:

قيل إنها أول ما نزل في شأن القتال، والأصح أن آيات سورة الحج هي الأولى، وهذه الآيات تبين نوعاً من أنواع الجهاد في الإسلام، وهو رد

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ١ ص ٣٠٠.

الاعتداء والدفاع عن دين الله عز وجل؛ فقد خصصت القتال بقتال الذين يقاتلوننا، وأعقبته بالنهي عن الاعتداء، ثم ختمت الآية ببيان أن الله تعالى لا يحب المعتدين، ثم أعقبها ما يفيد الأمر بقتال المشركين حيث وجدوا وبإخراجهم معللاً ذلك بأن ما فعلوه بالمسلمين أكبر من هذا، وفي هذا دليل على أن المراد بالمشركين كفار مكة، ثم ينهى الحق تعالى المسلمين عن قتالهم عند المسجد الحرام إلا ردًا للعدوان؛ معللاً ذلك بأنه جزاء لهم على سوء صنيعهم، فإن انتهوا عن كفرهم وظلمهم فإن الله غفور رحيم، ثم يأمر الحق جل وعلا المسلمين بقتالهم؛ حتى تزول فنتهم ويدخل الناس في دين الله تعالى أفواجاً، فإذا انتهوا فلا قتال إلا للظالمين المعتدين، ثم تُختم الآيات بالتأكيد على ما افتتحت به من قتال المعتدين حتى لو كان ذلك في الأشهر الحرم، ووجوب رد اعتداء المعتدين، وختام الآية ببيان أن الله تعالى مع المؤمنين المتقين، وناصرهم على أعدائهم^(١).

قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ

(١) يُنظر تفسير الطبري ج ٣ ص ٥٦١ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الواحدي ج ١ ص ٢٩١ وما بعدها، والتحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور ج ٢ ص ٢٠٠ وما بعدها، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١٦٨ وما بعدها، وتفسير الشعراوي ج ٢ ص ٨٢٢ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج ١ ص ٤٠٦ وما بعدها.

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ (البقرة: ٢١٦-٢١٧).

معاني المفردات:

كتب عليكم: أي فرض عليكم، والصدّ المنع، والفتنة: أي فتنة المسلمين في دينهم بإلقاء الشبهات في قلوبهم أو بتعذيبهم، يرتدد: أي يرجع، وحبط العمل: بطل وفسد، وآمنوا: أي ثبتوا على إيمانهم، وهاجروا: أي فارقوا الأهل والوطن، وجاهدوا من الجهد وهو المشقة، ويرجون: أي يتوقعون المنفعة بعمل الأسباب التي سنها الله، ورحمة الله: أي ثوابه (١).

المعنى الإجمالي للآيات:

يتحدث الحق جل في علاه في هذه الآيات ويبين فيها أنه فرض الجهاد على صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أو على المسلمين فرض كفاية أو فرض عين، والراجح - كما يرى الإمام الطبري - أنه فرضه على المسلمين فرض كفاية، ثم يبين أنهم يكرهونه لما فيه من التعب والمشقة، لكن فيه الخير الكثير، في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم بما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ثم يبين في الآية التي تليها بعضاً من أسباب فرض الجهاد؛ فقد لاقى المسلمون من مشركي مكة صنوفاً وألواناً من العذاب والتكليل من الصد عن سبيل الله تعالى وعن البيت الحرام والكفر بالله عز وجل، وهي أمور أكبر عند الله تعالى من القتال في الأشهر الحرم، وتختتم الآيات ببيان أن المشركين لن يكفوا عن قتال المسلمين حتى يصدوهم عن دينهم ويرجعوهم إلى الكفر مرة ثانية ومن يفعل ذلك فقد خاب وخسر وحبط عمله في الدنيا والآخرة (٢).

(١) تفسير المراغي ج ٢ ص ١٣١.

(٢) يُنظر تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٩٥ وما بعدها، وتفسير السمرقندي (بحر العلوم) ج ١ ص ١٤٢، ١٤٣، وتفسير الماوردي (النكت والعيون) ج ١ ص ٢٧٢، ٢٧٣، وتفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٩٥ وما بعدها.

قوله تعالى ﴿ فليقتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ (٧٦) وما لكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وجعل لنا من لذنك ولياً وجعل لنا من لذنك نصيراً ﴾ (٧٥) الذين آمنوا يقتلون في سبيل الله والذين كفروا يقتلون في سبيل الظالمين فقتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (٧٦) ﴿
(النساء: ٧٤ - ٧٦).

معاني المفردات:

سبيل الله: هي تأييد الحق والانتصار له، بإعلاء كلمة الدين ونشر دعوته، ودفاع الأعداء إذا هددوا أمتنا، أو أغاروا على أرضنا، أو نهبوا أموالنا، أو صدونا عن استعمال حقوقنا مع الناس، ويشرون: يبيعون كما جاء في قوله «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» وقوله «وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» وقوله «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ». والطاغوت: من الطغيان، وهو مجاوزة الحق والعدل والخير إلى الباطل والظلم والنشر، والكيد: السعي في الفساد على وجه الحيلة^(١).

□

(١) تفسير المراغي ج ٥ ص ٩٠.

المعنى الإجمالي للآيات:

الفاء في قوله تعالى (فليقاتل) للإفصاح عن شرط مقدر، والمعنى إن أبطأ المنافقون والذين في قلوبهم مرض وتأخروا عن الجهاد فليقاتل المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الدنيا بالآخرة في سبيل الله فهو المعتد به في الجهاد (إعلاء كلمة الله عز وجل) والمؤمن يجاهد للحصول على إحدى الحسنين الشهادة أو النصر، فإذا حدث استحق أجرًا عظيمًا لا يعرف قدره إلا الحق جل في علاه، ثم حرض المؤمنين في الآية الثانية على القتال بأبلغ أسلوب عن طريق الالتفات وغرض الاستفهام تحريضهم عليه والإنكار عليهم في تركه مع توافر دواعيه، وذكر منها نصرة المستضعفين من المؤمنين المسجونين بمكة أو ممنوعين من الهجرة سواء أكانوا رجالاً أم نساء، مع تضرعهم لله عز وجل دائماً أن يمن عليهم بالخروج من مكة الظالم أهلها، وأن يجعل لهم حافظاً يحفظ دينهم وناصراً من عند الله عز وجل لهم على أعدائهم، ثم يشجع المسلمين على القتال ببيان أنهم يقاتلون في سبيل الله أما الكفار فيقاتلون في سبيل الطاغوت؛ وهذا أدعى لقتال الكافرين؛ فكيد الشيطان ضعيف، ويُفهم منه وعدهم بالنصر إن نصرُوا الله عز وجل أولاً^(١).

قوله تعالى ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ١ ﴾ فَيُحِوْا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ٢ ﴾ وَأَذِنُّ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ٤ فَإِن تُبَسِّمُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزِي اللَّهِ ٥ وَتَسِيرَ الَّذِينَ

(١) يُنظر تفسير النسفي ج ١ ص ٣٧٣ وما بعدها، والبحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان ج ٣ ص ٧٠٩ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي ج ٣ ص ٢١٧ وما بعدها، والتفسير المنير للرحيلي ج ٥ ص ١٥٣، ١٥٤.

كَفَرُوا بِعَذَابِ آيَمِهِ ٥ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ
يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى
مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٦ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ
مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧ وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ٨
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٩ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُقُوا
فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْرَهُهُمْ
فَلَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ ١٠ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ
سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١ لَا يَرْفُقُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ١٢ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ فَاحْزَنُوا فِي الدِّينِ ١٣ وَنُقِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
١٤ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ١٥
أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ
وَهُمْ بَدَءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُدْهَبَ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

(التوبة: ١ - ١٥).

معاني المفردات:

{بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}: المراد من البراءة قطع العهد بين الرسول -
صلى الله عليه وسلم - وبين الناكثين للعهد من المشركين. {عَاهَدْتُمْ}:
عاقدتم. {فَسِيحُوا فِي} فسيروا فيها أحرارا.

{الْأَرْضِ}: فسيروا فيها أحرارا. {غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ}: أي غير مفلتين
من انتقامه. {مُخْزِي الْكَافِرِينَ}: مثلهم في الدنيا والآخرة. {وَأَذَانَ}: الأذان،
الإعلام بأمر مهم، وشاع إطلاق الأذان على النداء للصلاة. {يَوْمَ الْحَجِّ
الْأَكْبَرِ}: المراد به يوم عيد النحر وقيل، يوم عرفة. {وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}: أي وأنذرهم بعذابه فإن التبشير كما يستعمل كثيرا في
الإخبار بما يسر، يستعمل قليلا في الإخبار بما يسوء، لغرض الإهانة
والتحقير. {وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ}: أي ولم يعينوا عليكم^(١).

{انْسَلَخَ}: انفضى. {وَأَسْرُوهُمْ}: وأسروهم، والأخذ؛ الأسير.
{وَأَحْصُرُوهُمْ}: وضيقوا عليهم وامنعوا من الإفلات. {وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ
مَرْصِدٍ}: وراقبواهم في كل مكان يرى فيه تحركهم، حتى تمنعواهم من
التجمع ضدكم، أو الفكاك منكم. {فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}: أي فاتركوهم أحرارا.
{اسْتَجَارَكُمْ}: أي سأل جوارك ليكون في حماك وأمانك. {فَأَجِرُوهُ}: أي فأمته
{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ}: فما وفوا بعهدهم لكم. {يَبْظُرُهُمْ عَلَيْكُمْ}: يغلبوكم. {لَا
يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً}: لا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا {اسْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ}:

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ١٦٥٥،
١٦٥٦.

استبدلوا بالقرآن. {فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ}: فأعرضوا عن دينه الموصل إليه. {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ}: لما حرف يفيد نفى وقوع الفعل إلى زمن التكلم مع توقع وقوعه في المستقبل، والمراد أنه إلى الآن لم يتحقق وقوع الجهاد منكم، لعدم حصوله وقت نزول الآية، ولكنه ينتظر وقوعه وفق ما في علم الله. {وَلِيَجَاةً}: الوليعة الصديق الذي تطلعه على شرك وخفايا أمرك من الولوج وهو الدخول، ويطلق عليه لفظ بطانة أيضاً، لأنك تباطئه بأسرارك^(١).

المعنى الإجمالي للآيات:

بعث الله عزوجل محمداً بالحجة والإقناع وليس بالسيف والإجبار، ويدل على ذلك آيات وأحاديث كثيرة، ومع ذلك قاتله المشركون وناصبوه وأتباعه العداء من أول وهلة ونالوا منهم وساموهم صنوف العذاب والتنكيل حتى وصل الأمر للتأمر عليه صلى الله عليه وسلم بدار الندوة من أجل حبسه أو قتله أو نفيه إلا أن الحق سبحانه وتعالى نجاه والمسلمين فهاجروا للمدينة وأقاموا دولة الإسلام هناك وحدث قتال بينه وبين مشركي مكة حتى تعاهدوا على الصلح مدة عشر سنوات، ودخلت خزاعة في حلف النبي صلى الله عليه وسلم بينما دخل بنو بكر في حلف قريش، ثم نقض المشركون العهد فأغار بنو بكر على خزاعة، وكان ذلك إيذاناً بنقض الصلح من طرق قريش، والآيات معنا تتحدث في هذا السياق فافتتحت بالبراءة من عهد المشركين الذين نقضوا الصلح، ومع ذلك أمهلتهم أربعة أشهر، ثم أمرت النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم بذلك في موسم الحج، ثم يحثهم على التوبة والإيمان ويهددهم بقدره الله تعالى على نصر المسلمين عليهم والتنكيل بهم، ثم يستثني الحق جل في علاه من نقض العهد الذين أتموا عهودهم ولم ينقضوها مع المسلمين فيجب الإيفاء بعهودهم إلى آجالها التي حددت، ثم يتحدث عن ناكثي العهود

(١) السابق الجزء نفسه ص ١٦٥٩، وما بعدها.

بإمهالهم أربعة أشهر ثم قتالهم إلا من استجار بالمؤمنين فيسمع كلام الله ثم يُبلِّغ إلى أمان مكان له، ثم تتحدث الآيات عن طبيعة المشركين وتواصلهم في نقض العهود شأنهم في ذلك شأن اليهود بالإضافة إلى طغيانهم وظلمهم إن قدروا على المسلمين وغلِبوهم، ويكرر الله تعالى لهم إن باب التوبة مفتوح ويدعوهم إلى أعمال عقولهم والإيمان به سبحانه وتعالى والانصياع لأوامره حتى يتوب عليهم، أما إذا تمادوا في ظلمهم وطغيانهم وصمموا على نقض العهود فليس لهم إلا السيف، ثم تُختم الآيات ببيان أنهم يستحقوا القتال، لأنهم البادئون بالعدوان ونقض العهود بالإضافة لإخراجهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وتؤكد الآيات على ضرورة قتالهم حتى يرتدعوا ويؤمنوا بالله عز وجل وحده (١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكََ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴿ (التوبة: ٣٦).

معاني المفردات:

الشهور: واحدها شهر، وهو اسم للهلال سميت به الأيام، والكتاب: هو اللوح المحفوظ كما قال تعالى «عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى» والحرم: واحدها حرام، من الحرمة بمعنى التعظيم، والدين: الشرع، والقيم: أي الصحيح المستقيم الذي لا عوج فيه، وكافة: أي جميعاً،

(١) يُنظر المحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج ٢ ص ٣٣٢ وما بعدها، وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٣ وما بعدها، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج ١٠ ص ١٣٤ وما بعدها، وتفسير الشعراوي ج ٨ ص ٤٨٥٨ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج ٦ ص ١٩٤ وما بعدها.

والنسيء من نساء الشبيء ينسؤه نساءً ومنسأة: إذا أخره، أي الشهر الذي أنسى تحريمه: أي آخر عن موضعه (١).

المعنى الإجمالي للآية:

يبين الحق جل في علاه في هذه الآية أن الشهور عنده اثنا عشر شهراً منذ أن خلق السماوات والأرض، وهي الأشهر القمرية، وأن منها أربعة حرم يحرم فيها القتال، بينها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب (٢)، ثم أعقب ذلك بالأمر بقتال المشركين دفاعاً عن الدين، فهم يقاتلونكم ليفتتوكم عن دينكم وردكم إلى الكفر بعد الإسلام، لا لطمع في أرضكم وأموالكم، وتُختم الآية ببيان أنه تعالى مع المؤمنين وناصرهم على أعدائهم إن اتقوا الله حق تقاته وتمسكوا بدينهم واتحدوا لمواجهة عدوهم (٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) تفسير المراغي ج ١٠ ص ١١٣.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في سبع أرضين - حديث رقم (٣٠٢٥) ج ٣ ص ١١٦٨.

(٣) يُنظر تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٥ وما بعدها، وتفسير الزمخشري ج ٢ ص ٢٦٩، والمحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج ٣ ص ٢٩ وما بعدها، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهرري ج ١١ ص ٢٣٩ وما بعدها.

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٥١﴾ ﴿الحج: ٣٨ - ٤١﴾.

معاني المفردات:

{خَوَّانٍ كَفُورٍ}: الخَوَّانُ؛ الكثير الخيانة، والكُفُور: الشديد الكفر.
{بِأَنَّهُمْ ظَلُمُوا}: بسبب كونهم مظلومين. {صَوَامِعُ}: جمع صومعة،
وهي متعبدٌ خاص برهبان النصارى. {وَبِيعٌ}: جمع بَيْعَةٍ بوزن حرفه، وهي
متعبدٌ النصارى عامة.

{وَصَلَوَاتٌ}: جمع صلاة وهي كنيسة اليهود، وأُطلق عليها صلاة
لأنهم يصلون فيها، وذلك من إطلاق اسم الحال على المحل،
أو المظروف على الظرف. {وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}: أي له تعالى مرجعها
تدبيرًا وحُكْمًا (١).

المعنى الإجمالي للآيات:

هذه أول آيات نزلت في تشريع القتال، يبين الحق سبحانه وتعالى
فيها أولاً أنه يدفع ويدافع عن المؤمنين ضد كفار مكة الذين آذوه
والمسلمين، وقد طلب منه المسلمون أن يأذن لهم بقتالهم فلم يؤذن لهم إلا
بعد الهجرة بهذه الآيات، خاتماً الآية ببيان كرهه لكل خوان للأمانة كفور
بنعمه، ثم يأذن للمسلمين بالقتال معللاً ذلك بدفع الظلم الذي وقع عليهم،
وبيان أنه سبحانه وتعالى قادر على نصرهم على جميع أعدائهم وإن
تكالبت عليهم الدنيا بمن فيها، ثم يُفصل سبحانه وتعالى ويصور بعضاً
من ألوان الظلم الذي وقع عليهم من إخراجهم من ديارهم بغير حق بسبب
إيمانهم بالله عز وجل، ثم يبين الحق سبحانه وتعالى أن هذه سنته في
خلقه (التدافع بين الحق والباطل) وأنه لولا دفعه المشركين بالمؤمنين
لغلبهم المشركون وقتلوهم وخرّبوا ديارهم وأرغموهم على ترك دينهم بالتعبير

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٦ ص ١٢٢٣.

عن ذلك بهدم صوامع الرهبان وبيع اليهود وكنائس اليهود ومساجد المسلمين، ثم وعدهم - ووعدده الحق - أن ينصر الحق وأهله دوماً إن نصروه سبحانه وتعالى أولاً، وتُختَم الآية بصفتين تناسبان المقام لله عز وجل وهما القوة والعزة، ثم يبين الحق جل في علاه أن الغرض من تمكين حربه ونصرهم إنما هو نشر هذا الدين بين الناس، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تُختَم الآيات ببيان أن عاقبة الأمور كلها لله جل في علاه يجازي الكافرين والعصاة ويثيب الطائعين الملتزمين بمنهجه القويم (١).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ٢﴾ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ٤﴾ رَبَّنَا عَلَيْنَا نُوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٥﴾ رَبَّنَا لَا

(١) يُنظر تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٤٦١، والتفسير الوسيط للإمام الواحدي ج ٣ ص ٢٧٣، وتفسير البيضاوي ج ٤ ص ٧٢، وتفسير أبي السعود ج ٦ ص ١٠٨، وتفسير الشعراوي ج ١٦ ص ٩٨٣٠.

تَجَعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْنَا لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَهْدِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَهْدِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ (المتحنة: ١-٩).

سبب نزول الآيات:

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلى كفار قريش يحذرونهم وقوله تعالى ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبرَهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم" (١).

وأخرج الحاكم أيضاً عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال قدمت قتيلة بنت العزي بنت أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان أبو بكر طلقها في

(١) المستدرک - کتاب التفسیر - تفسير سورة الممتحنة - حديث رقم (٣٨٠٢) ج ٢ ص ٥٢٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الحافظ الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

الجاهلية فقدمت على ابنتها بهدايا ضبابا وسمنا وأقطا فأبت أسماء أن تأخذ منها وتقبل منها وتدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله عز وجل ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ إلى آخر الآيتين (١).

معاني المفردات:

(أَوْلِيَاءَ): أصدقاء أحياء جمع ولي وهو الصديق. (بِالْمَوَدَّةِ): بالمحبة والإخلاص. (يَنْفُقُوكُمْ): يتمكنوا منكم ويظفروا بكم. (يَبْسُطُوا): يمدوا ويسرفوا في مساءتكم. (يَفْصِلُ): يقضي ويحكم (٢). (أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ): قدوة طيبة وخصلة حميدة. (أَنْبِيَاءُ): رجعا. (فِتْنَةٌ): معذبين بهم. (يَتَوَلَّى): يُعرض (٣).

(وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ): وتقضوا إليهم بالقسط والعدل. (الْمُفْسِدِينَ): العادلين. (وَوَظَاهِرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ): وعاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم (٤).

المعنى الإجمالي للآيات:

يتضح من سبب نزول هذه الآيات أنها نزلت للفرقة بين نوعين من المشركين، الأول: الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من أرضهم وديارهم أو ساعدوا على ذلك فيمنع موالاتهم ونصرتهم ويجب قتالهم إلا أن يتوبوا، وقد بشرهم الله تعالى بأنه قادر على تغييرهم فيصبحوا أولياء

(١) المستدرك - كتاب التفسير - تفسير سورة الممتحنة - حديث رقم (٣٨٠٤) ج ٢ ص ٥٢٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الحافظ الذهبي: صحيح. والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - حديث عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه - حديث رقم (١٦١٥٦) ج ٤ ص ٤.

ويُنظر أيضاً أسباب النزول للإمام الواحدي ج ١ ص ٤٢١ وما بعدها.

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ١٠ ص ١٣٧٥.

(٣) السابق الجزء نفسه ص ١٣٧٩.

(٤) السابق الجزء نفسه ص ١٣٨١.

بعد ان كانوا أعداء، ونوع آخر لم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من أرضهم فهؤلاء لهم عند المسلمين العدل والإحسان والبر وفعل الخيرات وسياق الآيات كلها يدور حول هذين النوعين، فقد أفاض الحق جل وعلا في بيان ذلك فأمرهم أولاً بعدم اتخاذ عدوه وعدوهم من المشركين أولياء وضرب لهم مثالا - ليتأسوا به - بإبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين حين تبرأوا من قومهم حتى يؤمنوا بالله عز وجل وحده، ثم استثنى من ذلك النوع الآخر الذي لم يقاتل المسلمين ويخرجهم أو يساعد على إخراجهم كما مر سابقاً (1).

(1) يُنظر تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١١١ وما بعدها، وتفسير أبي السعود ج ٨ ص ٢٣٥ وما بعدها، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج ٥ ص ٢٠٥ وما بعدها، وتفسير المراغي ج ٢٨ ص ٦٠ وما بعدها.

المبحث الثاني: آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

وردت آيات في القرآن الكريم تأمر بالقتال دون تقييد بشيء، ومنها:

قوله تعالى ﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾
(البقرة: ٢٤٣ - ٢٤٤).

المعنى الإجمالي للآيتين:

يحض الله تعالى المؤمنين في هاتين الآيتين على الجهاد في سبيلة وعدم الخشية من الموت، ويضرب لهم مثلاً بمن سبقهم؛ حيث خرجوا من ديارهم وهم كثرة خشية الموت، فكان جزاؤهم أن أماتهم الله ثم أحياهم بعد إمانتهم؛ للدلالة على أن الموت والحياة بيده سبحانه وحده، وكان الواجب عليهم عدم الفرار من القتال خاصة وهم كثرة وليسوا قلة (١).

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٥١ - ٥٢).
المعنى الإجمالي للآيات:

بعد أن بين الحق جل في علاه في الآيات السابقة بعضاً مما بثه من الآيات الكونية الدالة على وجوده وتوحيده وتصريفه للآيات حتى يعتبر بها المشركون فيؤمنوا، بين هنا أنه لو شاء لبعث في كل قرية رسول لينذرهم ويدعوهم إلى الله تعالى، ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بعدم الالتفات للمشركين وأن يضطلع بهذه المهمة الكبيرة فيستفرغ جهده وطاقته في دعوتهم وجهادهم (٢).

(١) يُنظر تفسير النيسابوري ج ١ ص ٦٦٠ وما بعدها، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج ١ ص ٢٩٩ وما بعدها، وتفسير القاسمي ج ٢ ص ١٧٥، ١٧٦، وتفسير المراغي ج ٢ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) يُنظر النكت والعيون للإمام الماوردي ج ٤ ص ١٥٠، وتفسير ابن عطية ج ٤ ص ٢١٣،

المبحث الثالث: آيات نزلت في أناس مخصوصة.

وردت آيات قرآنية تأمر بقتال أناس مخصوصة، منها:

**قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).**

معاني المفردات:

{الْجِزْيَةُ}: هي ضريبة لنا على أهل الكتاب جزاء حمايتهم وحقق

دمائهم.

{عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}: أي عن يد موأتية منقادة وهم خاضعون (١).

المعنى الإجمالي للآية:

نزلت هذه الآية تأمر بقتال اليهود والنصارى معللة ذلك بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر على الحقيقة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله حقيقة والمقصود بهم الروم وقد تجهز النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم فغزاهم في تبوك وجعل الحق جل وعلا قتالهم حتى يدفعوا الجزية فيدخلوا في حماية المسلمين (٢).

وهذه الآية مما تشبث به أعداء الإسلام في طعنهم فيه ورميه بأنه انتشر بحد السيف وأنه يدعو للعنف والإرهاب، ونحن نقول لهم إن الآية ليس فيها ما يدل على ذلك، فهي لم تأمر بقتال أهل الكتاب ابتداء إلا إذا

٢١٤، وتفسير النسفي ج ٢ ص ٥٤٣، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج ١٠ ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ١٦٨٧.
(٢) يُنظر تفسير البغوي ج ٤ ص ٣٣، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٦، وتفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور ج ١٠ ص ١٦٢ وما بعدها، وتفسير الشعراوي ج ٨ ص ٥٠٢٣ وما بعدها.

حدث منهم ما يوجب قتالهم، كما أنها جعلت غاية لذلك، وهي إعطاؤهم الجزية ودخولهم تحت حكم المسلمين؛ حيث يسهل دخولهم في الإسلام عن اقتناع لا عن إجبار، يقول الشيخ المراغي: "حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) أي قاتلوا من ذكروا حين وجود ما يقتضى القتال كالاقتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم أو تهديد منكم وسلامتكم كما فعل بكم الروم وكان ذلك سببا لغزوة تبوك- إلى أن تأمنوا عدوانهم بإعطائكم الجزية بشرط أن تكون صادرة عن يد أي من قدرة واسعة فلا يظلموا ولا يرهقوا، وأن يخضعوا لسيادتكم وحكمكم، وبذا يسهل السبيل لاهتدائهم إلى الإسلام بما يشاهدون من عدلكم وفضائلكم التي يرونها رأى العين. فإن أسلموا عمّ الهدى والعدل، وإن لم يسلموا وأعطوا الجزية وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم وإعطاؤهم حريتهم فى دينهم ومعاملتهم بالعدل والمساواة كالمسلمين «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» . ويحرم ظلمهم وإرهابهم بتكليفهم ما لا يطيقون، ويسمّون حينئذ أهل الذمة، إذ كل هذه الحقوق تكون لهم بمقتضى ذمة الله وذمة رسوله" (١).

ولم يؤثر عبر التاريخ الإسلامي كله أن أكره غير المسلمين على الدخول في الإسلام وإنما عاشوا جنبا إلى جنب مع المسلمين آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحرية اعتقادهم وعبادتهم.

قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ الْخُسُوفَ وَالْجُنُودَ وَالْأَسْرَارَ ﴾ (التوبة: ٧٣).

□

(١) تفسير المراغي ج ١٠ ص ٩٥.

معاني المفردات:

{وَأَعْلُظْ عَلَيْهِمْ}: واشدد عليهم ولا تأخذك بهم رافة ورحمة. {وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ}: أي ومكانهم ومقرهم الذي يأوون إليه وينزلون فيه جهنم. {الْمَصِيرُ}: المآل والمرجع (١).

المعنى الإجمالي للآية:

يخاطب الحق جل في علاه نبيه صلى الله عليه وسلم أمراً إياه بجهاد الكفار الصرحاء الذين يجهرون بالكفر بالسيف والسلاح، ويجاهد المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بالحجة والبرهان ويأمره أن يكون شديداً عليهم في جهاده لهم وهذا جزاؤهم في الدنيا وفي الآخرة لهم جهنم خالدين فيها أبداً، وبئس القرار والمآل (٢).

وهذه الآية أيضاً مما تمسك به اعداء الإسلام في طعنهم فيه، والحق أنها ليست كذلك، فهي تتحدث عن طائفتين: اليهود الذين يقيمون مع المسلمين في المدينة والمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وكلاهما لا يفتأ يكد للإسلام وأهله ويتحين الفرص للقضاء عليه، فهم البادئون وليس المسلمون، فكان ذلك الأمر جزاء وفاقاً على سوء صنيعهم، يقول الشيخ رشيد رضا: "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم أي: ابذل جهدك في مقاومة الفريقين الذين يعيشون مع المؤمنين بمنئ ما يبذلون من جهدهم في عداوتك، وعاملهم بالغلظة والشدة الموافقة لسوء حالهم، وقدم ذكر الكفار في جهاد الدنيا؛ لأنهم المستحقون له بإظهارهم لعداوتهم له. صلى الله عليه وسلم. ولما جاء به، والمنافقون يخفون كفرهم وعداءهم ويظهرون الإسلام فيعاملون معاملة المسلمين في

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ١٧٣٣.
(٢) يُنظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٠٤، ٢٠٥، وتفسير البيضاوي ج ٣ ص ٨٩، وتفسير المراغي ج ١٠ ص ١٦٤، ١٦٣، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ١٧٣٣، ١٧٣٤.

الدنيا، وقدم ذكر المنافقين في جزاء الآخرة ؛ لأن كفرهم أشد، وعذرهم فيه أضعف " (١).

ويقول الشيخ المراغي: " (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) أي ابذل أيها النبي جهدك في مقاومة هاتين الطائفتين اللتين تعيشان بين ظهرانيك بمثل ما يبذلان من جهد في عداوتك، وعاملهما بالغلظة والشدة التي توافق سوء حالهما. وقد اتفق الأئمة على أن المنافقين يعاملون بأحكام الشريعة كالمسلمين الصادقين، فلا يقاتلون إلا إذا ارتدوا أو بغوا على جماعة المسلمين بالقوة أو امتنعوا من إقامة شعائر الإسلام وأركانها. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان: أي بالحجة والبرهان. وكان كفار اليهود يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم حتى بتحريف السلام عليه بقولهم (السام عليكم) ، والسام الموت فيقول: (وعليكم) ثم تكرر نقضهم للعهد حتى كان من أمرهم ما تقدم ذكره، وكان يعامل المنافقين باللطف واللين بناء على حكم الإسلام الظاهر، فجزأهم هذا على أذاه بنحو قولهم (هُوَ أُذُنٌ) فأمره الله في هذه الآية بالغلظة على الفريقين في جهاده التأديبي لهم، لأن أمثالهم لا علاج له إلا هذا" (٢).

والدليل على ذلك ما جاء بعدها، فقد عدد الله تعالى في الآية بعدها بعض جرائمهم، قال تعالى ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَتَّوَلَوْا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ (التوبة: ٧٤).

(١) تفسير المنار ج ١٠ ص ٤٧٣
(٢) تفسير المراغي ج ١٠ ص ١٦٣، ١٦٤.

المبحث الرابع: آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.

وردت آية في القرآن الكريم خاصة بقتال البغاة من المسلمين، قال تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩).

سبب نزول الآية:

ما أخرجه الإمام البخاري: "أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي فَا نَطَلَّقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا فَا نَطَلَّقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِيحَةٌ فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ إِلَيْكَ عَنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَشْنُ حِمَارِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشْتَمَهُ فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالْأَيْدِي وَالنُّعَالِ فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا أَنْزَلَتْ ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (١).

معاني المفردات:

(طَائِفَتَانِ): جماعتان.

(فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا): فإن تعدت وظلمت.

(حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ): حتى ترجع إلى أمره.

(وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الإقسط: العدل أي: واعدلوا في

الإصلاح بين الطائفتين إن الله يحب العادلين (٢).

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلح - باب ما جاء في الإصلاح بين الناس - حديث رقم (٢٥٤٥)

ج ٢ ص ٩٥٨

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٩ ص ١٠٣٦، ١٠٣٧.

المعنى الإجمالي للآية:

الخطاب في الآية لأولي الأمر من المسلمين، يأمرهم الحق عز وجل إذا حدث بين طائفتين من المؤمنين قتال أن يتدخلوا بينهما بالإصلاح عن طريق بذل النصح وإزالة أسباب الخلاف، ثم بين حكمه في حال اعتداء إحداهما على الأخرى ورفض الصلح بوجوب قتالها حتى ترجع إلى حكم الله عز وجل وأمره وتقبل الصلح، وتُختم الآيات بضرورة مراعاة العدل والقسط في الحكم بين المتنازعين فالله تعالى يحب العادلين المقسطين^(١).



(١) يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزى الكلبي ج ٢ ص ٢٩٦، ٢٩٧، وتفسير أبي السعود ج ٨ ص ١٢٠، وتفسير المراغي ج ٢٦ ص ١٣٠، ١٣١، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج ١٣ ص ٣٠٨، ٣٠٩.

المبحث الخامس: أحاديث ذكر فيها القتال

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ذكر فيها القتال والجهاد، منها:

١ - ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ يوم افْتَتَحَ مَكَّةَ لَا هِجْرَةَ وَلَا كِنَ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا (١).

٢ - ما أخرجه الإمام ابن حبان عن أنسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنِّكُمْ" (٢).

ويلاحظ أن هذين الحديثين ورد فيهما الجهاد بصيغة العموم فلم يُحدد فيهما إن كان دفاعاً أو لا وإن كان خاصاً بأناس بعينها أو لا، ولم يخصص بالسيف فقط بل تعداه لغيره من أنواع الجهاد الأخرى.

٣ - ما أخرجه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مَنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى

(١) صحيح البخاري - كتاب - باب - جزء من حديث رقم (١٧٣٧) ج ٢ ص ٦٥١. وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه - كتاب - باب جزء من حديث رقم (١٣٥٣) ج ٢ ص ٩٨٧.

(٢) صحيح ابن حبان - باب فرض الجهاد - ذكر الأمر بالحث على الجهاد وقتل أعداء الله الكفرة - حديث رقم (٤٧٠٨) ج ١١ ص ٦.

والحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه - أول كتاب الجهاد - باب كراهية ترك الغزو - حديث رقم (٢٥٠٤) ج ٣ ص ١٠.

والإمام النسائي في سننه - كتاب الجهاد - باب وجوب الجهاد - حديث رقم (٣٠٩٦) ج ٦ ص ٧، وفي السنن الكبرى - كتاب - باب - حديث رقم (٤٣٠٤) ج ٣ ص ٦.

والإمام البيهقي في سننه الكبرى - كتاب السير - باب أصل فرض الجهاد - حديث رقم (١٧٥٧٦) ج ٩ ص ٢٠.

والحاكم في المستدرک - كتاب الجهاد - حديث رقم (٢٤٢٧) ج ٢ ص ٩١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي: على شرط مسلم.

والإمام أبو يعلى في مسنده - حميد الطويل عن أنس بن مالك - حديث رقم (٣٨٧٥) ج ٦ ص ٤٦٨.

اللَّهُ " (١).

وهذا الحديث مما تمسك به أعداء الإسلام في طعنهم فيه، وقد ورد فيه الأمر بقتال الناس، ولفظ الناس عام، لكن في بعض الأحيان يراد به أناس مخصوصة، كما في قول الله عز وجل ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، فالمراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود الأشجعي وبالثانية أبو سفيان ومن معه (٢).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه في هذا الحديث يراد به أناس مخصوصة، وهم مشركو قريش (٣).

ولا يخفى على كل ذي لب ما فعلته قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من اضطهاد وإيذاء، فهم البادئون بالقتال والإيذاء، فكان ذلك الأمر عقوبة لهم على سوء صنيعهم، ورداً لظلمهم وطغيانهم، وهو ما صرح الله تعالى به في آيات أخرى، كما مر سابقاً، ويؤيد ذلك أن لفظ أقاتل يدل على المفاعلة وهي لا تكون إلا من طرفين فالمقصود قتال من يقاتلنا ويؤذينا ويظلمنا.

وعلى فرض أن كلمة الناس عامة فهي محمولة أيضاً على من يسلكون سبيل مشركي قريش من الإيذاء والظلم للمسلمين؛ بدليل كلمة أقاتل الدالة على المفاعلة، وهي لا تتصور إلا من طرفين.

(١) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال - حديث رقم (٢٧٨٦) ج ٣ ص ١٠٧٧.

وصحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب يَأْبُ الْأُمْرُ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حديث رقم (٢١) ج ١ ص ٥٢.

(٢) يُنظَرُ تَفْسِيرَ السَّمْرَقَنْدِيِّ ج ١ ص ٢٦٥، وَالتَّفْسِيرَ الْوَسِيطَ لِلْإِمَامِ الْوَاحِدِيِّ ج ١ ص ٥٢٢، وَالتَّفْسِيرَ الْوَسِيطَ لِلْإِمَامِ الْكَبِيرِ الدُّكْتُورِ/ مُحَمَّدِ سَيِّدِ طَنْطَاوِيِّ ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) يُنظَرُ فَتْحَ الْبَارِيِّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ١ ص ٧٧.

المبحث السادس: استنتاج واستنباط مما سبق

بعد عرض بعض الآيات التي ذُكر فيها القتال وتفسيرها تفسيراً مجملاً وكذا بعض الأحاديث، يمكن أن أستخلص ما يلي:

أولاً: غالب الآيات القرآنية تتحدث عن الوظيفة الأساسية للقتال في الإسلام، وهي الدفاع عن الدين وحماية الأوطان، وهذا من المتفق عليه بين جميع الدول وكافة الأديان والشرائع.

ثانياً: بعض الآيات القرآنية أطلقت لفظ القتال أو الجهاد على عمومه، وهذا يُمكن أن يُحمل على المقيد (الدفاع) أو لا، وفي حال عدم حمله على المقيد، وكذا الآيات التي وردت في أناس مخصوصة يُحمل كلاهما على نوع آخر من أنواع الجهاد غير الدفاع، وهو ما يُطلق عليه العلماء جهاد الطلب، وهو عبارة عن الجهاد من أجل نشر الدعوة الإسلامية وإزالة الحواجز بين الناس وبين التفكير في الإسلام؛ مما يؤدي بهم إلى اعتناقه والدخول فيه طواعية دون إكراه أو عنف، ولمزيد من الإيضاح أُبين أن غير المسلمين ينقسمون إلى قسمين:

١ - طائفة الملاء، وهم السادة والأشراف محاربوا دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على مر العصور.

٢ - طائفة المستضعفين، وهم بقية الشعب.

وقد حاربت طائفة الملاء على مر العصور دعوة الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام وكانوا سبباً في صد الناس عنها، قال تعالى في قصة نوح

عليه السلام ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

(الأعراف: ٦٠)، وقال في قصة هود عليه السلام ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ

الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٦)، وقال في قصة صالح عليه

السلام ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا
لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ اَتَعْلَمُونَ اَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ؕ قَالُوا اِنَّا
بِمَا اُرْسِلَ بِهِ مِنْهُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اِنَّا بِالَّذِي
ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴿ (الأعراف: ٧٥ - ٧٦)، وقال في قصة
شعيب عليه السلام ﴿ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَسْعَيْبَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا اَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ؕ قَالِ اُولُو كُنَّا
كِرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴿ (الأعراف: ٨٨)، وقال ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لَئِن اَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا اِنَّكُمْ اِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴿ (الأعراف: ٩٠)، وقال
في قصة موسى عليه السلام ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ اِنَّ هَذَا
لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴿ (الأعراف: ١٠٩)، وقال ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ
فِرْعَوْنَ اَتَدْرُؤُونَ مَوْسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَيَذُرَّكَ ؕ وَءَاهَتَكَ ؕ قَالَ
سَنُقْتِلُ اَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ؕ وَاِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴿
(الأعراف: ١٢٧)، ويصور الحق جل وعلا ما سيحدث يوم القيامة بين
هاتين الطائفتين (المأ والمستهضعفين) الذين أعرضنا عن ذكر الله فلم
تؤمنا لما جاء به الرسل ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ اِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ
يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ اِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اَلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا اَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ
اسْتَضَعُوا اَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ اِذْ جَاءَكُمْ ؕ بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ
﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ اَلَيْلٍ وَالتَّهَارِ اِذْ
تَأْمُرُونَنَا اَنْ نَّكْفُرَ بِاللّٰهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ اٰنْدَادًا ؕ وَاَسْرُوْا التَّدَامَةَ لَمَّا رَاُوْا

الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ (سبأ: ٣١ - ٣٣).

فالإسلام جاء بقتال طائفة الملاء التي تصد الناس عن دين الله تعالى بقوتها وجبروتها وجاء لإزالة كل ما يعوق الدعوة إلى الله تعالى، ولو كان الأمر مفتوحاً أمام الدعوة ما احتاج إلى القتال، وليس أدل على ذلك مما تناولته في الفصل الأول من مواقف تدل على سلوك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطريق رغم حجم المخاطرة الشديد وما أدى إليه من خسائر.

ثانياً: أن الإسلام كما شرع القتال لرد الاعتداء الخارجي وفتح المجال أمام الدعوة إلى الله عز وجل شرعه أيضاً للإصلاح بين المسلمين في حال تعدي إحدى الطائفتين المتخاصمتين على الأخرى حتى ترجع إلى حكم الله تعالى.

الخاتمة

بعد أن عرضت بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال وهي أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه دين يدعو للعنف والإرهاب، وقمت بالرد عليها، أستطيع القول إن أهم النتائج التي توصلت لها ما يلي:

أولاً: إن التعصب ضد الإسلام والرغبة في صد الناس عنه هي الدافع الأساسي لإثارة مثل هذه الشبهات.

ثانياً: كما يوجد علماء من غير المسلمين متعصبون يتجنون على الإسلام يوجد كذلك علماء منصفون يقرون بالحق ويشهدون شهادة العدل والإنصاف.

ثالثاً: كل ما أورده اعداء الإسلام من شبهات حول هذا الموضوع لا يثبت أمام النظر والتمحيص، ويكذبه القرآن والسنة والتاريخ والواقع.

رابعاً: الجهاد في الإسلام قسمين قسم دفاعي لحماية الدين والدفاع عن الأوطان، وهذا من المجمع عليه بين كافة الشعوب والدول، وقسم لإزالة العوائق أمام الدعوة إلى الله تعالى وتيسير السبل لسماع الناس ما جاء عن الله تعالى حتى يختاروا ما يريدون وحتى تُقام عليهم الحجة.

خامساً: أن أغلب الشبه توجه للقسم الثاني (الجهاد لإزالة العوائق أمام الدعوة إلى الله تعالى) ظناً منهم أن في ذلك إجباراً على الدخول في الإسلام وشتان بين هذا وذاك.

سادساً: أن الإسلام دين يدعو للفكر والنظر ولا يدعو إلى العنف والإجبار بأي حال من الأحوال.

أما أهم الاقتراحات فهي:

أولاً: إنشاء مؤسسات رسمية تابعة للأزهر الشريف، تكون مهمتها الرد على ما يُثار من شبهات.

ثانياً: توعية المسلمين بخطورة الشبهات التي تُثار حول الإسلام، وتوجيههم إلى ردها إلى الراسخين في العلم، وعدم الاعتراض بها.

ثالثاً: إتاحة الفرصة للرد على الشبهات في وسائل الإعلام المختلفة.

رابعاً: نشر سماحة الإسلام بشتى الطرق المتنوعة، ومواجهة الفكر المنحرف.

المصادر والمراجع

- ١- أسباب النزول، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٢- الإسلام في قفص الاتهام، لشوقي أبو خليل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط: الخامسة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
- ٣- الإسلام والحضارة الإنسانية، للأستاذ/ عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة، ط: الثانية، ٢٠٠٦م.
- ٤- الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا، للدكتور/ محمود قمر.
- ٥- انتشار الإسلام بعد السيف بين الحقيقة والافتراء، للدكتور/ نبيل لوقا بباوي.
- ٦- انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، للأستاذ/ عبد الله سالم بازينة، منشورات جامعة ٧ أكتوبر - دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا، ط: الأولى.
- ٧- انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، للدكتور/ محمد عبد الله النقيرة، دار المريخ - الرياض، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
- ٨- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، للإمام قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨هـ)، تح: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
- ٩- البحر المحيط في التفسير، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

- ١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام أبي الفيض محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
- ١١- تاريخ أهل الذمة في العراق، لتوفيق سلطان، دار العلوم - الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ١٢- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ليوليوس فلهاوزن، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريذة - حسين مؤنس، التربية والتعليم بمصر بإشراف وزارة الثقافة.
- ١٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، للدكتور/ عمر فرّوخ - الدكتور/ مصطفى الخالدي، المكتبة العصرية - بيروت، ط: الثالثة، ١٩٦٤م.
- ١٤- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٥- التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام أبي القاسم، محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطى (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ١٦- التعريفات، للإمام علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- ١٧- التعريفات الفقهية، للشيخ/ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

- ١٨ - تفسير الآلوسي (روح المعاني)، للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ١٩ - تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٢٠ - تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢١ - تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للشيخ محمد الأمين ابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢٢ - تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٣ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٤ - تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (المتوفى ٣٧٣ هـ).

- ٢٥ - تفسير الشعراوي (الخواطر)، للإمام محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- ٢٦ - تفسير الشوكاني (فتح القدير)، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ٢٧ - تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٨ - تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٩ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.
- ٣٠ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- ٣١ - تفسير الماوردي (النكت والعيون)، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ٣٢ - تفسير المراغي، للشيخ/ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- ٣٣ - تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- ٣٤ - التفسير المنير، للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط: الثانية، ١٤١٨ هـ.
- ٣٥ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٣٦ - تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٣٧ - التفسير الوسيط (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، والدكتور/ أحمد محمد صيرة، والدكتور/ أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور/ عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤ م.
- ٣٨ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.

- ٣٩ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى.
- ٤٠ - التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٤١ - الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، للإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١.
- ٤٢ - حضارة العرب، لجوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة.
- ٤٣ - الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، لتوماس أرنولد، ترجمه للعربية وعلق عليه: د/ حسن إبراهيم حسن - د/ عبد المجيد عابدين - د/ إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٧١م.
- ٤٤ - دفاع عن الإسلام، للورافيشيا.
- ٤٥ - الرحيق المختوم، للشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، ط: الأولى.
- ٤٦ - سنن البيهقي الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى: ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٤٧ - سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٤٨ - السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٤٩ - سنن النسائي (المجتبى)، للإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥٠ - السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، لفان فلوتن، ترجمة: حسن إبراهيم - محمد زكي إبراهيم.

٥١ - السيرة النبوية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير دمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٥٢ - السيرة النبوية، للشيخ أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير - دمشق، ط: الثانية عشرة، ١٤٢٥ هـ.

٥٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٤ - صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، واليمامة - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- ٥٥ - **صحيح ابن حبان**، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية.
- ٥٦ - **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث - بيروت.
- ٥٧ - **فتح القدير**، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ٥٨ - **فقه السيرة**، للشيخ محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦ هـ)، دار القلم - دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- ٥٩ - **القاموس المحيط**، للإمام أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٦٠ - **قصة الحضارة**، لول وإيريل ديورانتي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
- ٦١ - **لا سكوت بعد اليوم**، ليول فندلي، شركة المطبوعات - بيروت، ط: الثانية، ٢٠٠١ م.
- ٦٢ - **لسان العرب**، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- ٦٣ - **المستشرقون والإسلام**، للدكتور/ زكريا هاشم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن منشورات لجنة التعريف بالإسلام - القاهرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

- ٦٤ - **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٦٥ - **المسند**، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ٦٦ - **مسند أبي يعلى**، للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٧ - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث - القاهرة، ١٣٦٤ هـ.
- ٦٨ - **معجم مقاييس اللغة**، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.